الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

السياقات التاريخية في النص الرحلي لابن خلدون(دراسة توثيقية)

إعداد الطالبتين:

- شتيوي عبلة
- شواط صباح

إشراف الأستاذ:

بوخاري عمر

أعضاء لجنة المناقشة

د.الحاج عيسى إلياس .....رئيسا

د.بوخاري عمر .....مشرفا ومقررا

د.عليلي محمد.....مناقشا

السنة الجامعية: 2020-2021 م/ 1442- 1443 هـ

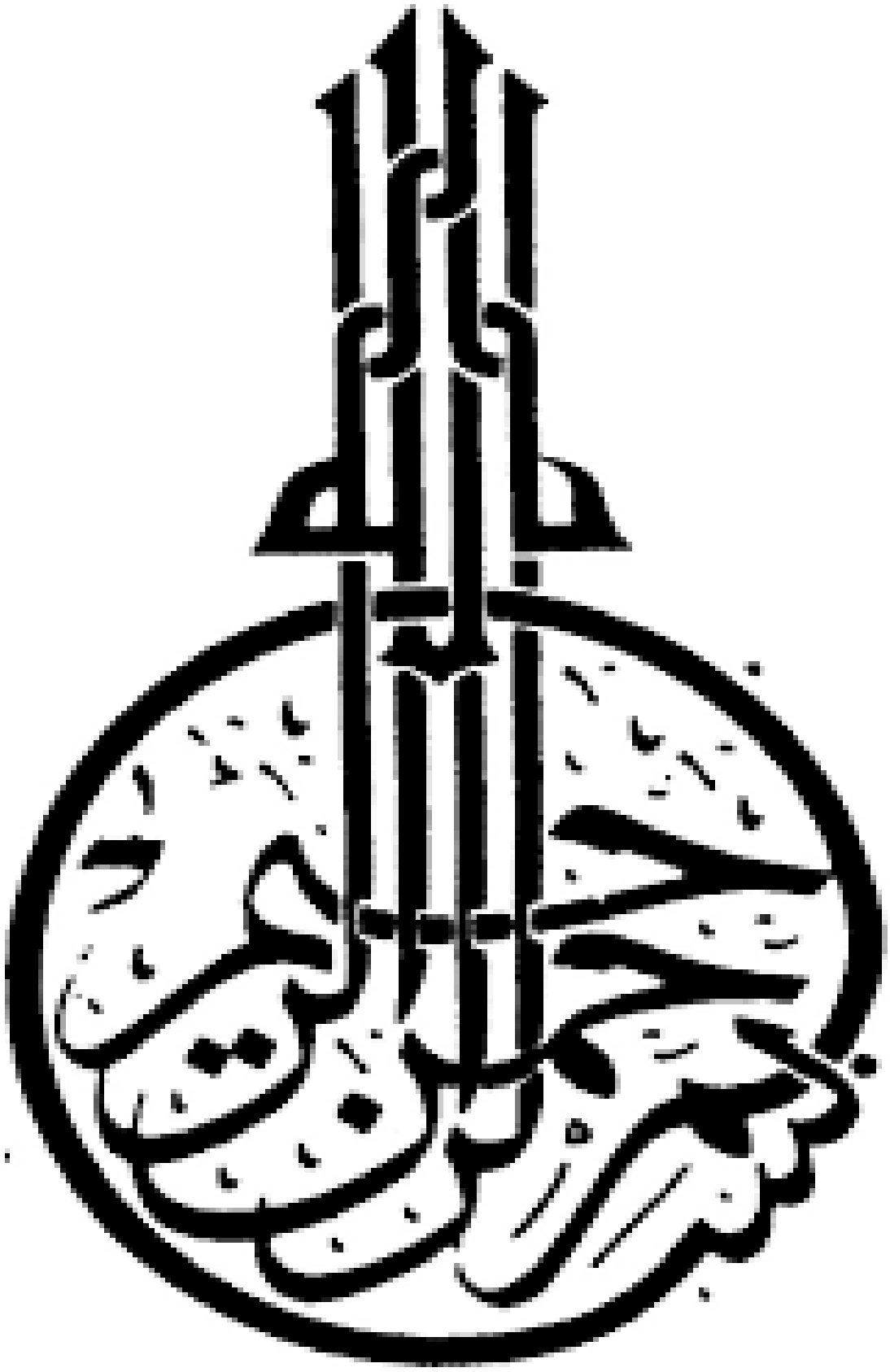

شكر وعرفان

قال الله عزوجل: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} _إبراهيم_07

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،وبفضله تتنزل الخيرات والبركات وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات ، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المبعوث رحمة للعالمين نبي الرحمة وإمام الهدى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

نتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى فضيلة الأستاذ الدكتور **عمر بوخاري** الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة ، وأسدى إلينا توجيهات علمية ومنهجية دقيقة ومهمة ولم يبخل علينا بوقته.

جزاه الله خير الدارين دار الدنيا ودار الآخرة وأعانه الله وجعل ذلك في ميزان حسناته إنه سميع مجيب.

إهداء

إلى سندي الأول في الحياة بعد الله _**عائلتي شواط**_

إلى بؤرة النور التي عبرت بي نحو الأمل والأماني الجميلة إلى من راوض الصعاب من أجلنا **والدي الحبيب** .....**أمي الحبيبة.**

إلى كل **صديقة صدوقة** رافقتني في هذا المشوار.

محبتكم صباح

إهداء

أهدي هذا العمل مشفوعاً بكل مودة وإجلال:

إلى أعز مخلوقة في الوجود وأعذب كلمة ينطقها اللسان"**أمهاتي الغوالي**"

إلى من علمني الحياة "**أبي**"

إلى زوجي الفاضل "**بلال**"

إلى كل أهلي وأقاربي وصديقاتي .

إلى رفيقتي وأختي وعزوتي وسندي وقت الشدائد "**نجمة**"

عبلة

قائمة المختصرات

تر: ترجمة

تق: تقديم

ج: جزء

تح: تحقيق

د.د.ن: دون دار نشر

د.ط: دون طبعة

د.س: دون سنة

ص: صفحة

ص ص: صفحات

ط: طبعة

ع: عدد

م: ميلادي

ه: هجري

مج: مجلد

مقدمـــة

مقدمة:

تعد الرحلات لونا من ألوان التفاعل ومصدراً مهماً لمعرفة الحياة الثقافية والبيئات العلمية التي اشتهرت بها بلاد المغرب ففيها ذكر لأهم المراكز العلمية، ومجالس الدرس والتحصيل، بل إنها صورة حقيقية لشهود العيان عن الأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية و الاقتصادية وجغرافية للبلدان، بالإضافة إلى هذا تمثل زاداً وفير لتراجم الكثير من العلماء الذين غفلت عنهم كتب التراجم.

وقد شهد المغرب الإسلامي حركة نشيطة للعلماء و الرحالة و المؤرخين الذي كان لهم الفضل في التعريف بها ، ذلك أن المغاربة كانوا يشعرون بدافع شديد إلى كتابة مذكراتهم، وتسجيل ما اختلج بأنفسهم عن رحلاتهم التي كانت تقودهم إلى داخل البلاد نفسها أو خارجها، ومن أصحاب الرحلات الذين عرفتهم بيئة المغرب الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م أو قريبا منه، نذكر العلامة ابن خلدون عبد الرحمن الذي ساهم إلى جانب كتابه الضخم ديوان العبر ومقدمته المشهورة، في موضع الرحلات ، فوضع كتابا على النحو التالي: "**التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا**". الذي تناول فيه الأوضاع السياسية و الاجتماعية و الثقافية لبلاد المغرب الإسلامي، وهي الأوضاع التي كان ابن خلدون نفسه شاهداً عليها وطرفاً فاعلا فيها.

وعليه جاءت الدراسة على النحو الآتي:

"السياقات التاريخية في النص الرحلي لابن خلدون (دراسة توثيقية)"

تنحصر فترة دراستنا زمانياً منذ ولادة عبد الرحمن ابن خلدون سنة 732هـ إلى غاية وفاته سنة 808هـ،أما مكانياً فتمثل بلاد المغرب و الأندلس.

تكمن أهمية هذا الموضوع كونه يسلط الضوء على فترة جد حساسة من تاريخ المغرب والأندلس والتي سجلها لنا ابن خلدون من خلال مشاركته في أحداث ذلك العصر ، هذا إضافة إلى توضيح جانب

مهم في تلك الفترة ألا وهو رابطة الصداقة الفكرية والنكبة السياسية التي جمعته بنخب زمانه من بينهم **لسان الدين ابن الخطيب**، وعليه فإن شغلنا الشاغل يتمثل في هذه الدراسة التي تهدف إلى الإسهام في إعادة الاعتبار للنص الرحلي لابن خلدون والذي يشكل جزءاً ثرياً من التراث العلمي والسياسي المغربي.

في هذا المسلك نحاول إبراز حقيقة النص الرحلي لابن خلدون، بأنه لا يمثل مصنفا جغرافيا من نمط الرحلة المعتاد والمعروف لنا جيدا كما عهدناه عند العديد من الرحالة، بل هو ترجمة لسيرة حياة صاحبه بقلمه بكل ما يحمل هذا اللفظ من معنى، وفيها يعرض أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون لجميع تنقلاته والحوادث التي مرت به منذ نشأته حتى قبيل وفاته بشهور، وقد اهتم بوصف نشاطه السياسي والاجتماعي .

وعليه يعود سبب اختيارنا للموضوع هو إبراز التباين بين المؤرخ ابن خلدون وبين المؤرخين والرحالة الذين سبقوه في التدوين الرحلي، من أجل أن نلمس رؤية جديدة في دراسة تاريخ الرحلة سياسياً، محاولين التعرف على أهم مصدر خلدوني والاستفادة من ذلك في التعامل مع الخبر التاريخي في الحاضر والمستقبل.

ونظراً لأهمية الموضوع وخصوصيته فقد توجهت آلية بحثنا للوقوف على الإشكالية التالية:

_كيف كان الواقع السياسي في المغرب والأندلس من خلال رحلة ابن خلدون؟

_ما هي ظروف نشأته؟ وفيما تتمثل أهم أثاره العلمية؟

_كيف استطاع ابن خلدون الوصول إلى مكانته المرموقة في ظل تلك الظروف؟

_و ما هي طبيعة العلاقة التي جمعته بابن الخطيب؟

وبهدف الوصول إلى إجابة عن إشكالية الدراسة قمنا بوضع خطة تساعد في ذلك، ضمت مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وبعض الملاحق التي تدعم الدراسة هذا إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة: عرضنا فيها مدخلاً لموضوع الدراسة، ينطلق من الحديث عن موضوع الرحلة العام وصولاً إلى الخاص الذي هو موضوع بحثنا، متبعين ذلك ببقية خطوات المقدمة وفقاً لما تقتضيه منهجية البحوث والدراسات الأكاديمية .

الفصل الأول: يحمل عنوان التعريف بابن خلدون(حياته ورحلته)،تناولنا فيه نبذة عن حياة ابن خلدون، كما عرضنا حياته العلمية والعملية، ثم إلى أهم مؤلفاته وأثاره كما تطرقنا إلى التعريف برحلته خاصة وبالرحلة عامة وصولاً إلى أهميتها مبرزين أراء العلماء والفلاسفة حول العلامة والمؤرخ.

الفصل الثاني: جاء وتحت عنوان "ابن خلدون والأوضاع السياسية في بلاد المغرب"، تطرقنا إلى حياته السياسية ورحلاته في بلاد المغرب إضافة إلى النكبة التي حصلت له ودخوله بسببها السجن ثم ذكرنا أهم النشاطات السياسية والمناصب التي تقلدها.

الفصل الثالث: والذي عنوناه ب {الرحلة إلى الأندلس وعلاقته بلسان الدين ابن الخطيب} وذكرنا فيه رحلة عبد الرحمن ابن خلدون إلى الأندلس ونشاطه فيها ، إضافة إلى الصداقة التي جمعته بالوزير لسان الدين ابن الخطيب.

في الأخير وصلنا إلى **خاتمة** كانت بمثابة مجمل النتائج التي استخلصها الموضوع.

كما لا ننفى وجود بعض الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ، منها نقص المادة التاريخية المتخصصة في رحلة ابن خلدون بالإضافة إلى صعوبة اقتناءها والوصول إلى مصادر التي تعطي الموضوع أكثر ما وصلنا إليه.

واستند البحث إلى كل من: المنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي، في التعامل مع مادتها لأن هذه المناهج تساعدنا على فهم أسلوب ابن خلدون، والطريقة التي سلكها أثناء الكتابة التاريخية من خلال وضعه معايير وقواعد لنقد الحوادث والأخبار ،وتحليلها تحليلا تدريجيا ثم الانتقال إلى ربطها بالواقع الاجتماعي والسياسي وبالظروف المحيطة بها.

بعد اطلاعنا عن موضوع السياقات التاريخية في النص الرحلي لابن خلدون، لم نجد دراسات أكاديمية متخصصة تناولته جملةً وتفصيلاً، بل هناك بعض الدراسات تناولت أجزاء منه ومنها نذكر:

- مذكرة البعد الحضاري في فكر ابن خلدون من إعداد الطالبتين غماري أمال و عمرون فتيحة و هي مذكرة لنيل شهادة {الماستر} في قسم اللغة و الأدب العربي في جامعة تلمسان.
- مذكرة النشاط السياسي والعلمي لابن خلدون في بلاد المغرب للطالبين الزاوي محبوب ولجدل علي عبد الرحمن وهي مذكرة لنيل شهادة {الماستر} في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث جامعة حمة لخضر الوادي.

فضلا عن كتاب الرحلة لابن خلدون الذي كان منطلقا ومرتكزاً لهذا البحث، وتحقيقاً للغاية التي سعيت وهي توضيح استجلاب السياقات التاريخية عن كتاب الرحلة عمدنا إلى الاستعانة بمجموعة من المصادر والدراسات التي احتوت على مضامين هذه الرحلة وتحليلها.

و عليه سنقدم عينة من هذه المصادر مع التركيز على المعلومات التي وفرتها لنا.

نذكر أولاً كتاب **تاريخ ابن خلدون (ت:808هـ)** و الذي سماه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر،ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ووضح لنا هذا الكتاب نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنية، وتكمن أهمية هذا المصدر في كون مؤلفه عاصر أحداث المغرب.

كذلك كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (776هـ)**، ويعد أحد المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تاريخ غرناطة. وهو ينفرد عن الكتب القديمة، كونه يكشف النقاب عن الحركة العلمية والتاريخية السائدة ،من خلال تقديم تراجم وافية عن علماء تلك الحقبة، كما أنه قدم لنا موجزاً عن أهم الشخصيات التاريخية التي تعرض لها ابن الخطيب ويكتسي أهمية بالغة كونه يحوي رسائل ومقطوعات نثرية وشعرية الكثير منها غير متوفر في مصادر أخرى. حيث ساعدنا في معرفة العلاقة التي كانت بين ابن خلدون وابن الخطيب ومجمل الرسائل التي كانت بينهم.

كتاب **نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي** إذ تكمن أهمية هذا المصدر في إدراج جمهرة كبيرة من العلماء في مختلف الدراسات، وتتميز تراجم هذا الكتاب بدقة الوصف مع قدرة فائقة على إبراز التفاصيل في تراجم من عاصرهم المؤلف.

زيادة على ذلك هناك مراجع مهمة ساعدتنا من بينها:

كتاب **عبقريات ابن خلدون لعلي عبد الواقي** ، وهو من أهم المراجع المستخدمة في هذه الدراسة وقد أفادنا بمعلومات مفصلة حول شخصية ابن خلدون من ولادته إلى وفاته.

كتاب **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، لمحمد عبد الله عنان** وقد استفدنا منه في الجانب العلمي والسياسي كما أحالنا إلى مصادر تخدم الموضوع.

الفصل الأول: التعريف بابن خلدون (حياته، رحلته)

- أصل بيت عبد الرحمن ابن خلدون
- نشأته وتكوينه العلمي
- التعريف بالرحلة وأهميتها في البلاد العربية

تمهيد:

يعد **عبد الرحمن ابن خلدون** من أبرز العلماء الذين عرفتهم الحضارة العربية الإسلامية على مرِّ التاريخ ، إذ يمكن عده علماً من الأعلام الذين كان لهم إسهام علمي بلغ حدَّ العالمية ، فقد كانت منجزاته في علم التاريخ والسياسة علامة فارقة أضافت كثيراً من الأفكار الجديدة إلى الفكر العربي الإسلامي والإنساني بشكل عام ، فلذلك لازالت الدراسات تتحدث عن هذه القامة العلمية و مثال على ذلك ما ذكر **ايف لاكوست**:

"غير أن اسم ابن خلدون، يذكر في إفريقيا الشمالية، حتى بالنسبة إلى أناس جد متواضعين، بعظمة ماضٍ بأسره. ولكن معظم الناس المثقفين خارج البلدان العربية، وأكثرية الذين هم على تماس بقضايا عصرنا الكبرى ، يجهلون هذا الاسم الشهير الذي ليس معروفاً إلا لدى المتخصصين بالماضي المغربي أو بتطور علم التاريخ،...فإن آثار ابن خلدون تضيء مرحلة جد هامة من ماضي البلدان."[1]

توجب علينا ونحن نبحث عن مجمل السياقات التاريخية في نصه الرحلي، أن نتعرف أولاً على هذه الشخصية الفذَّة، وذلك من خلال دراسة سيرته الذاتية من "**نسب ونشأة، إلى تكوين وآثار علمية**" وهذا ما نصبو إليه في هذا الفصل.

[1]-ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، تر:ميشال سليمان، دار ابن خلدون،ط1،بيروت،1982،ص ص:09-11.

المبحث الأول: أصل بيت ابن خلدون.

أولا: نسبه:

يقول ابن حزم[1] صاحب كتاب جمهرة أنساب العرب وهو من الكتاب الثقات في موضوع النسب:

"هو وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف بن سعيد بن عديّ بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد الخضرميّ بن عمر و ابن عبد الله بن هاني بن عوف بن جرهم بن عبد شمس بن زيد بن لأي بن شبت بن قدامة بن أعجب بن مالك بن لأي بن قحطان و ابنه علقمة بن وائل ، وعبد الجبار بن علقمة بن وائل"[2].

ويرجع السخاوي أصل ابن خلدون في كتابه الضوء اللامع فيقول: " عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن جابر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد عبد الرحيم ولي الدين أبو زيد الحضرمي من ولد وائل بن حجر الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي ويعرف بابن خلدون"[3].

كما نجده في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لجمال الدين أبو المحاسن أنه:" عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسين مُحَمَّد بن جابر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد الحضرمي الاشبيلي، المعروف بابن خلدون"[4].

---

[1]- ابن حزم: هو أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1982، ص 05.

[2]- نفسه، ص 460.

[3]- السخاوي شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجبل، د.ط، بيروت، د.س، ج4 ص145.

[4]- جمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: مُحَمَّد مُحَمَّد امين، مركز تحقيق التراث، د.ط، القاهرة، 1994 ج7، ص 205.

وأصدق تعريف لحياة ابن خلدون هو ما أورده نفسه قائلا: "عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن بن مُحَمَّد بن جابر بن مُحَمَّد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خَلدون[1]. لا أذكر من نسبي إلا خلدون غير هؤلاء العشرة ويغلب الظن أنهم أكثر ، وأنه سقط مثلهم عددا ، لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس ، فإن كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة ، فيكون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة، ونسبنا في حضرموت [2].من عرب اليمن ، إلى وائل بن حجر[3].من أقبال العرب، معروف وله صاحبة"[4].

إذا فهو : " عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن الحسن بن جابر بن مُحَمَّد بن إبراهيم ابن خلدون، يكنى بأبي زيد و لقب على أثر توليه القضاء " ولي الدين"[5].

مما يتضح لنا انه حصل على لقب ابن خلدون نتيجة نسبه إلى جده خالد بن عثمان، وكان أهل الأندلس والعرب يزيدون واو نون على الأشخاص المهمين لديهم لتعظيمهم فأصبح (خالد : خلدون) وأصبح قومه بني خلدون، من الصفات والألقاب التي أطلقت عليه أيضا نسبة لنسبه نجد: الحضرمي

[1]– بفتح الخاء كما ضبطه بخطه بالقلم مرارا، وكما نص عليه السخاوي في الضوء اللامع، أنظر: السخاوي شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ص 145.

[2]– حضرموت : بفتح الراء أو الميم، اسمان مركبان، ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاق، أنظر : ابن عبد الحق الحنبلي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: مُحَمَّد علي البجاوي، دار الجيل، ط1، بيروت بيروت، 1992، م، م1، ص 409 .

[3]–كان من ملوك قومه وله موقف مع معاوية ابن أبي سفيان قبل خلافته، أنظر : ابن خلدون عبد الرحمان ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر للطباعة ، ط1 ، بيروت ، ج2 ، ص ص ،476 477.

[4]ابن خلدون عبد الرحمان : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تح، مُحَمَّد بن تاويت الطنجي، عاصمة الثقافة العربية، د، ط، الجزائر، 2007، ص1 .

[5]–ابن خلدون عبد الرحمان ،ابن خلدون ورسالته للقضاة، تح : فوائد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ، ط1، الرياض، 1417، ص 93 .

لمسقط رأس أسلافه حضرموت في اليمن، بالإضافة إلى الألقاب التي كانت تضاف إلى اسمه مثل الوزير، الحاجي ، الفقيه ، علامة الأمة، وغيرها.

ثانيا : سلفه في الأندلس :

ولما دخل جدنا خلدون بن عثمان إلى الأندلس[1]، نزل بقرمونة[2] في رهط من قومه حضرموت، ونشأ بيت بنيه بها ، ثم انتقل إلى اشبيلية و كانوا في جند اليمن[3].

إذ لم يكن لبني خلدون شان يذكر في تاريخ الأندلس قبل أواخر القرن الثالث الهجري .

فقد بدأ نجمهم يسطح في عهد الأمير عبد الله بن مُحَّد بن عبد الرحمن الأموي (274-300هـ) وذلك انه في أثناء ولاية هذا الأمير اضطربت الأندلس بالفتن وثار معظم النواحي، وكانت اشبيلية موطن بني خلدون[4].

" وبين ابن خلدون إلى الآن في اشبيلية نهاية في النباهة ولم تزل إعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية، ولم يزل سائر بن أمية إلى أزمان الطوائف وانمحت عنهم الإمارة بمذاهب لهم من الشوكة ولما علا كعب بن عياد بإشبيلية و استبد على أهلها استوزر مني بني خلدون هؤلاء واستعملهم في رتب دولته وحضروا معه الجلاقة فاستشهد فيها طائفة كبيرة من بني خلدون هؤلاء"[5].

---

[1]- اسم الأندلس في اللغة اليونانية أشبانيا و الأندلس بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة وفيها معادن الذهب والفضة و النحاس ... والشب ، أنظر : الحميري: معجم البلدان، دار الصاد، ط2، لبنان 1995م، ص 32.

[2]- مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية وهي مدينة كبيرة وقد فتحت على يد عبد الرحمن بن مُحَّد، انظر : الحمري، المصدر السابق ، ص 461.

[3]- ابن خلدون عبد الرحمان : العبر ، المصدر السابق ، ج7، ص 505.

[4]- علي عبد الواحد وافي : عبقريات ابن خلدون ، شركات مكتبات عكاظ ، ط2، السعودية 1984، ص 25.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمان، الرحلة، المصدر السابق ،ص ص ،4-8 .

ثالثا : جواز سلفه إلى إفريقيا :

"ولما اضمحلت دولة الموحدين [1]واضطربت أمور الأندلس، وتضعفت قواعدها وثغورها وأخذت تسقط تباعا في يد ملك قشتالة ، نزح الأمير أبو زكريا الحفصي حفيد أبي حفص إلى افريقية سنة 620هـ و خلع طاعة الموحدين بني علي عبد المؤمن[2]ودعا لنفسه، وخشى بنو خلدون سوء العاقبة فغادروا اشبيلية".[3] ونزلوا سبتة ، فأصهر إليهم العزفيُّ بأبنائه وبناته، فاختلط بهم وكان له معهم مذكور[4].

" وتولى الجد الثاني لابن خلدون "أبو بكر مُحَمَّد" شؤون دولتهم بتونس كما ولى جده الأول "مُحَمَّد بن أبي بكر مُحَمَّد" شؤون الحجابة لحكام بجاية[5]، من الحفصيين أما والد ابن خلدون صاحب المقدمة فقد عزف عن السياسة وآثر الدرس والعلم ، فقرا وتفقه ، وكان مقدما في الصناعة العربية ، فكانت لهذه الأسرة إذن قدم راسخة في السياسة والعلم معا، وقد وصفها المؤرخ الشهير ابن حيان في مرحلة مقامها بالأندلس فقال: " بين بني خلدون إلى الآن واشبيلية نهاية في النباهة، ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية"[6].

---

[1]– دولة الموحدين : تأسست هذه الدولة رسميا (541هـ) على يد المهدي بن تومرت، في شكل دعوة دينية وفكرة روحية إصلاحية وتطورت الى كيان سياسي الى أن بسطت نفوذها على كامل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس وسقطت سنة 668هـ، انظر : أبو بكر الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت ، تح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للتوزيع، د، ط، الجزائر، 1974 ص 193.

[2]– عبد المؤمن : بن علي بن مخلوف أبو مُحَمَّد الكومي، ولد في مدينة تاجرت بالمغرب قرب تلمسان، تولى الخلافة بعد مُحَمَّد بن تومرت سنة 524 هـ، انظر : الزركلي، الاعلام، دار الملايين، ط1، بيروت، 1987، ج4 ، ص 170 .

[3]– عبد الله عنان: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1933، ص 15 .

[4]ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 11.

[5]– بجاية : مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، كان أول من اختطفها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457 هـ، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الصادر، ط1، لبنان، 1985، ج1، ص 339 .

[6]– علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق ، ص 27، 29 .

المبحث الثاني : نشأته وتكوينه العلمي:

أولا : مولده و نشأته:

ولد عبد الرحمان ابن خلدون في تونس أول رمضان[1] سنة 732هـ -1332 م في أسرة علمية جمعة بين العلم والحكم والرياسة وتدرج في حجر والده الذي كان معلمه الأول والذي ابتعد عن السياسة والحكم وانفرد إلى العلم والقراءة .[2]

ويعرف هو نفسه: "أما نشأتي فاني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والدي رحمه الله، إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم"[3].

فكانت نشأة ابن خلدون في أسرة امتطت ذرى الرياسة، وخفق فيها روح العلم والأدب، مما ساعد ذكاءه الفكري على أن يشتغل بشدة، وجعل نفسه الزكية بمقربة من الهمم الكبيرة، فقد نشأ وكانت رياض العلم في مدينة تونس زاهية[4].

ثانيا: شيوخه:

يذكر ابن عماد شهاب الدين الدمشقي في كتابه شذرات الذهب انه قرأ القرآن على :

عبد الله بن سعد بن نزال : إفراداً وجمعا وأخذ العربية عن أبيه وأبي عبد الله السايري، وغيرها[5]

---

[1] احمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، كتبة النهضة المصرية، ط1، د.ب، 1999، ج4، ص 145 .

[2] – ابن خلدون عبد الرحمان : شفاء السائل وتهذيب المسائل، 1996 تح : محمد مطبع الحافظ، دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1996، ص 24 .

[3] – ابن خلدون عبد الرحمان : المصدر السابق ، ص 15 .

[4] – حسين محمد الخضر: حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، 2012 ص 10 .

[5] – الدمشقي ابن عماد شهاب الدين : شذرات الذهب في أخبار من مذهب، تح : محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، ط1 بيروت، 1986، م1، ص 71 .

في هذا الصدد يذكر ابن خلدون: "وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب:

أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن بُرَّال الأنصاري: أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية[1]، أخذ عن مشيخة بلنسية و أعمالها وكان من أشهر شيوخه من القراءات السبع:

أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد البطرني ، ومشيخته فيها ، وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأت عليه بالقراءات السبع إفرادا وجمعا ، في إحدى وعشرين ختمة ، ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى ، ثم قرأت **برواية يعقوب**[2] ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه، وعرضت عليه:

قصيدتي **الشاطبي**[3]، وعرضت عليه كتاب التقصي لأحاديث الموطأ **لابن عبد البرّ**، ودراسته عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك، ومختصرات ابن الحاجي في الفقه، ولم أكملها بالحفظ[4].

حيث اهتم والده بأن يتلقى أنباءه العلم كثيرا مبكرا على يد كبار علماء تونس وشيوخهم ودرس ابن خلدون الأدب العربي والسنة النبوية والفقه الإسلامي وفق المذهب المالكي، ثم اهتم بالفلسفة والتاريخ وكان ابن خلدون وهو مازال صبيا ناهيا متميزا وتتلمذ على يد كبار علماء الثقافة الإسلامية.

[1]- بلنسية: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهي شرقي التراث. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1 ص 490.

[2]- هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي البصري، أحد القراء العشرة وله قراءة مشهورة عنه. انظر: ابن خلدون الرحلة، ص 16.

[3]- الشاطبي: هو أبو القاسم، ويكنى أبو مُحَمَّد أيضا القاسم بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيني، نظم قصيدته الأمية التي عرفت بالشاطبية،أنظر: الشافعي شمس الدين الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2006، ج2 ص 20.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمان ، ص ص ،15-19.

وهنا يمكننا تفصيل كل العلوم التي تلقاها ابن خلدون ومشايخه على النحو التالي:

أ- الفقه:

درس المالكي في مجلس القاضي:

* **ابن عبد السلام.**

* **ومُحَمَّد بن سليمان السطي المتوفي (750هـ).**

* **وأبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الجباني.**

* **وأبي القاسم بن العصير**: قرأ عليه التهذيب وعليه تفقه[1].

"وقدم عليهم في حملة السلطات أبي الحسن عندما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم وكان يلزمهم شهود مجلسه ويتحمل مكانهم فيه فمنهم شيخ الفتية بالمغرب وإمام مذهب مالك:

أبو عبد الله مُحَمَّد بن سليمان السطي: فكان ينتاب مجلسه وأفاد عليه ومنهم كاتب السلطان أبي الحسن المريني[2] وعلامته إمام المحدثين والنجاة بالمغرب:

أبو مُحَمَّد بن عبد المهيمن[3] الحضرمي لازمه وأخذ عنه سماعا وإجازة الأمهات الست والموطأ والسير

[1]- التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، ط2، طرابلس، 1999، ص 251.

[2]- أبو الحسن من كبار بني مرين، يعرف عند الناس بالسلطان الأكحل لسمرة لونه، بويع بفاس بعد وفاة أبوه سنة 731هـ، توفي سنة 752هـ. انظر: الزركلي، الاعلام، ج4، ص 311.

[3]- ابن عبد المهيمن :هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد المهيمن ابن عبد الله الحضرمي ولد سنة 676هـ كان يفضل الأشغال السلطانية، توفي كتابة الإنشاء لأبي الحسن المريني، وتوفي في 12 شوال ودفن برلاج، انظر: القاضي المكناسي ، الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، د.ط 1973، ص ص ، 444- 445.

لابن إسحاق وكتاب ابن الصلاح في الحديث"[1].

ب- الحديث:

درس ابن خلدون على مشايخ آخرين في تونس أثناء فترة وجوده بها، فأخذ منهم الحديث من مضامينها في كتب الحديث كصحيح البخاري ومسلم والسنن وغيرهما.

سمح الحديث واخذ علومه من علام عصره وهم:

- **ابن عبد السلام الهواري التونسي.**
- **وأبو بركات البلفيقي:** شيخ المحدثين والأدباء والفقهاء الصوفية[2].

ويقول ابن خلدون في هذا الشأن: ولازمت أيضا مجلس إمام المحدثين بتونس؛ **شمس الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن جابر بن سلطان القيسي الواديآشي**[3]، صاحب الرحلتين، وسمعت عليه كتاب مسلم بن الحجاج، إلا فَوتاً يسرًا من كتاب الصَّيد، وسمعت عليه كتاب **الموطأ** من أوله إلى آخره، وبعضا من الأمهات الخمس، ناولني كتبا كثيرة في العربية والفقه، وأجازني إجازة عامة ، وأخبرني عن مشايخه المذكورين في برنامجه ، أشهرهم بتونس قاضي الجماعة **أبو العباس أحمد بن العمَّار الخزرجي**[4].

ج- العلوم العقلية واللغة:

تعلم على والده مُحَمَّد، وعلى أساتذة تونس منهم:

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص ص ، 19- 20.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان: ابن خلدون ورسالته للقضاة ، المصدر السابق ، ص 34.

[3]- الوادي آشي: مُحَمَّد بن قاسم القيسي شمس الدين، مولده ووفاته بتونس. أنظر: حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل للنشر، د ط، بيروت، ج3، ص 413.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمان، الرحلة ،المصدر السابق ، ص ص ،18-19.

الشيخ **ابن عبد الله بن العربي الحصايري**: كان إماما في النحو وله شرح مستوفي على كتاب التسهيل.

وأبو عبد الله مُحَمَّد بن الشواش الزرزالي.

ومنهم **أبو العباس أحمد بن القصار**: كان متسعا في صناعة النحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة في مدح الجناب النبوي ومنهم إمام العربية والأدب بتونس.

أبو عبد الله مُحَمَّد بن بحر: لازم مجلسه وأفاد عليه وكان بحرا زاخرا في علوم اللسان وأشار عليه بحفظ الشعر فحفظ كتاب الأشعار الستة والحماسة للأعلم وشعر حبيب بن أوس الطائي أبي تمام، وطائفة من شعر المتنبي، ومن أشعار كتاب الأغاني[1].

وهذه جملة من العلماء الذين درس على أيديهم ابن خلدون واستفاد منهم كثيرا، ذلك ما نلاحظه في سلالة أسلوبه وبلاغة لغته.

نتطرق إلى مجال العلوم العقلية منهم:

"أبو عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم الأبلي: أصله من تلمسان وبها نشأ وقرأ كتب التعاليم وحذق فيها، فلما قدم على تونس سنة 748هـ في حملة السلطان أبي الحسن لزمه وأخذ عنه الأصليين والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية وكان يشهد له بالتبرير في ذلك فإلى جانب ما حفظه من القرآن والحديث وغيرهما من كلام العرب أخذت ملكته اللسانية وسليقته للغوية في ازدياد، وقد أثر في ملكة الشعر لديه كثيرة حفظ المتون الفقهية[2].

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص ص ، 17-18.

[2]- نفسه، ص 21.

ثم إن ابن خلدون اخذ من العلوم ما يشفيه، ونبع فيها وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، مما جعله موسوعيا ملما بأبواب كثيرة من الثقافة الإسلامية.

ثالثا: الآثار العلمية لابن خلدون:

يتجلى الأثر العلمي والفكري الذي تركه لنا العالم ابن خلدون فيما يلي:

شرح القصيدة المسماة بالبردة: والبردة هي قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية التي ألقاها البصري المتوفى سنة 684هـ، تتضمن مائة واثنين وستين بيت في مدح القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم [1].

"اشتهر بكتابة «العبر» وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والبربر، طبع في سبعة مجلدات أولها «المقدمة»وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها، وختم «العبر» بفصل عنوانه "التعريف بابن خلدون" ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه ثم أفرد هذا الفصل، فتبسط فيه وجعله ذيلا للعبر وسماه "التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته شرقا وغربا"[2].

وكتاب في "الحساب" ورسالة في "المنطق" و 'شفاء السائل لتهذيب المسائل" وله شعر وتناول كتاب من العرب وغيرهم سيرته، آرائه في مؤلفات خاصة منها "حياة ابن خلدون" لمحمد الخضر بن حسين[3].

[1]- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، د.ط، القاهرة، 1975، م3 ص 57.

[2]- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص 330.

[3]- نفسه، ص 330.

لخص محصل الإمام لفخر الدين الرازي، وأنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن أمير المسلمين أبي الحجاج لأول قدومه ليلة الميلاد الكريم عام 764هـ[1].

رابعا: بعض الآراء حول ابن خلدون:

لقد حظيت شخصية ابن خلدون وحياته وأفكاره بقدر كبير من اهتمامات الدارسين العرب والغربيين فقد اشتغل الكثير منهم بآراء ابن خلدون وعلومه ومراحل حياته العلمية والعملية، وأصدروا حوله آراء شتى والتي سنحاول أن نذكر منها ما يلي:

أولا: العرب:

أ– معاصريه:

– تحدث المقريزي عن شيخه ابن خلدون بمنتهى الخشوع والإجلال وينعته (بشيخنا العلامة الأستاذ قاضي القضاة) وعن مقدمته إذ يقول: " لم يعمل مثلها، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة المعارف والعلوم ونتيجة للعقول السليمة والمفهوم "[2].

– قال أبو المحاسن جمال الدين مشيدا بمقدرته ونزاهته في ولاية القضاء، أنه " باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة حمدت سيرته "[3].

– قال عنه ابن العماد الحنبلي، في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب: " كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً ، صادق اللهجة ، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العليا ، ولما رحل إلى الأندلس اهتز له السلطان، وأرعب خاصته ، وأجلسه في مجلسه[4].

---

[1] – أحمد قاضي المكناسي: جذور الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، د. ط، الرباط، 1973، ص 411.

[2] – عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص .97

2– أبو المحاسن جمال الدين، المصدر السابق ، ج7، ص 208

[4] – أبي العماد الحنبلي، المصدر السابق ، ج7 ، ص ص ، 71 – 72.

– قال لسان الدين ابن الخطيب عن ابن خلدون في كتابه " الإحاطة ": " جم الفضائل، رفيع القدر، أسيل المجد، وقور المجلس، عالي الهمة، قوي الجأش، متقدم في فنون عقلية و نقلية، كثير الحفظ صحيح التصور، حسن العشرة، فخر من مفاخر العرب، كان بارعا، عالما، فاضلا، وله تاريخ حسن وغير "[1].

ثانيا: العرب المحدثين:

– مصطفى النشار وفي كتابه " تطور الفكر القديم من صولون حتى ابن خلدون " قال: " يعتبر ابن خلدون قمة في الفكر السياسي الإسلامي، فهو صاحب أسلوب وطريقة في البحث فريدة، ويمكننا أن نطلق عليه من هذه الزاوية أرسطو العرب"[2].

– أما صلاح الدين بيسوني فقد كان في كتابه " السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون " مايلي: " يعتبر عبد الرحمان ابن خلدون من أعظم الشخصيات البارزة في الفكر الإسلامي، حيث تميز بالفكر الشامل، فهو العالم الإسلامي الكبير، و الإمام في الفقه المالكي ، ورجل القانون والفيلسوف[3].

– يقول عبد الحليم عويس في كتابه " التأصيل الإسلامي في نظريات ابن خلدون " يقول: " لقد كان عبد الرحمان ابن خلدون بحق نبته طبيعية للثوابت الإسلامية الأساس ولو بقي في المعترك السياسي، لما أبدع شيئا، ولما عرفه الناس[4].

---

[1]– لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 377.

[2]– صلاح الدين بيسوني، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، كتب عربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص 6.

[3]– نفسه ، ص 10.

[4]– عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي في نظريات ابن خلدون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة قطر، ط1 1996، ص 38.

ثانيا: المستشرقين:

– نشر استفانو كولونيو في مجلة العالم الإسلامي ، الفرنسية سنة 1914م/ دراسات عن غبت خلدون فقال اكتشف مناطق مجهولة في عالم الاجتماع... أنه سبق ماكيافيلي[1]، و مونتسكو و فيك إلى وضع علم جديد ، هو النقد التاريخي " إن المؤلف المغربي العظيم اكتشف مبادئ العدالة الاجتماعية والاقتصادية السياسي قبل كونسيدر وماركس، وباكونين بخمسة قرون[2].

لقد كتب الأستاذ فارد في كتابه علم الاجتماع النظري، العبارة التالية: " كانوا يضنون أن من قال بشر بمبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية، هو منتسكير أو فيكو، في حنين أن ابن خلدون كان قد قال ذلك وأظهر تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة، قبل هؤلاء بمدة طويلة في القرن الرابع عشر.[3]

وقد أصدر توينبي الأستاذ مقالا عن ابن خلدون مؤلف بعنوان " دراسة في التاريخ " نشر سنة 1939م، وقال فيه هذا الكلام الثمين: " إن ابن خلدون قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة للتاريخ وهي لاشك أعظم عمل من نوعه خلفه أي عقل في أي زمان ومكان[4].

قال جومبلو فيتش الألماني الذي يبدوا من أبرز علماء الاجتماع في ألمانيا ما يلي:" إن ابن خلدون يمكن أن يعتبر مفكرا عصريا بأتم معنى الكلمة من وجوه عديدة ...أنه درس الحوادث الاجتماعية بعمق هادئ رزين، وأبدى آراء عميقة ليس قبل كونت فحسب، بل قبل فيكو أيضا.[5]

---

[1]– ماكيافيلي : ولد في فلورنسا 3مايو 1469 ،وتوفي في فلورنسا يونيو 1527 ،كان مفكرا وفيلسوفا سياسيا إيطاليا إبان عصر النهضة ، أنظر: إقتباسات نيكولا ماكيافيلي– أبجد 12 – 04- 2018 / 00: https//www.dbjjad.com.20

[2]– ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ط3، ص 255.

[3]– حسين عبد الله بانيلة ،ابن خلدون وتراثه التربوي ،دار الكتاب العربي ، ط1 ،بيروت ،ص51

[4]– ساطع حصري، المرجع السابق، ص 259.

[5] –نفسه ،ص153

كما وفقت باحثة روسية معاصرة " ستيفيس تلانا باتسيفا " من ابن خلدون وفكره، موقف الإعجاب والانبهار، إذ يقول: " هدف ابن خلدون أن يجعل من التاريخ وعاء ضخما يستوعب كل ما حدث في العمران ، وهو ما تسعى إليه المحاولات الحديثة في كتابة التاريخ[1]

هكذا أعطى بعض العلماء وجهات نظرهم حول شخصية ابن خلدون وحياته وتعليمه وأخلاقه وصفاته، وحول دراسته التي اعتبروها دراسات عصرية وفي حدود لم يصل إليها كثيرا من العلماء سواء كانوا معاصرين له أو قبل، أو حتى بعده، فميزوه بالمبدع الذي لم يسبقه أحد والمبتكر الذي كان رائد في شتى العلوم.

المبحث الثالث: التعريف بالرحلة وأهميتها في البلاد العربية :

أولا: تعريف الرحلة عامة:

أ– لغة: تعددت المفاهيم اللغوية لكلمة الرحلة وقد وجدناها في المصادر متنوعة: عرفها ابن المنظور في لسان العرب بأن الرحلة من رحل الرجل إذ سار، ورجل رحُول وقو رحل، ... والارتحال: الانتقال والرحلة: اسم للارتحال... والرحلة بالضّم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده[2].

أما شعيب حليفي فقد ذكر في كتابه "الرحلة في الأدب العربي" بأن تعريف الرحلة صعب كتعريف أي جنس أدبي أخر على غرار الشعر والرواية وهذا لتعدد مضامينها وأساليبها[3].

وتحمل أيضا معنى الجهة التي يقصدها الإنسان "الرحلة الارتحال، والرحلة بالضم، والوجه الذي نأخذ

[1] –مصطفى الشعكة ،الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته ،الدار المصرية اللبنانية ،بيروت ، ط1 ،1986 ،ص 192

[2] – ابن منظور : لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.س، ج3، ص 1608.

[3] – شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي: التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2006، ص 42.

فيه وتريده، تقول أنتم رُحلتي أي الذين أرتحل إليهم كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة[1].

أما في قاموس عبد النور جبور عرف الرحلة فقال: "تمثل الرحلة في الأدب العربي منزلة رفيعة وأصبحت من الفنون الشائعة في معظم البلدان، ويشير إلى أن الآثار التي تتميز بها الرحلة بها الرحلة متأنية من الوصف الظريف للواقع والسرد الفني للمغامرة الإنسانية والعواطف المحركة للبشر.[2]

ويذكر الفيروزبادي في القاموس المحيط بأن الرحلة من 'ارتحل البعير: سار ومضى القوم عن المكان انتقلوا كثر حَّلوا والإسم : الرِحلة والرُحلة بالضم والكسر، أو بالكسر : الارتحال، والضم : الوجه الذي نقصده، والسفرة الواحدة [3].

كما جاء في مقياس اللغة مادة "رحل" : " الرَّاء والحاء والأمر أمر واحد يدل على مضي وسفر ...[4]. وبذلك يكون : وبذلك يكون : "رحلة (مفرد) رِحلات (لغير مصدر)، ورَحلات (لغير المصدر)، ورِحلُ لغير المصدر، رحّال (مفرد)، ورحَّال، ورحَّالة، رُحِّل، وراحلون صيغة مبالغة في رحل[5].

ومن هنا نستنتج أن معاجم اللغة العربية تجمع على أن الرحلة هي الانتقال من مكان إلى آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من الرحالة قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى .

وإذا بحثنا عن لفظة رحل في القرآن الكريم فإننا نجدها قد وردت مرة واحدة، وذلك في وقوله تعالى :﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي

[1] – أحمد بن علي الفيومي المقري: المصباح المنير، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 1398هـ، ج1، ص 222.

[2] – عبد النور حبور: المعجم الأدبي، دار العلم الملايين، ط1، بيروت، 1984، ص 131.

[3] – مريم بورقيبة : أدب الرحلات عند مُحَمَّد الخضير حسين (مذكر ماستر)، جامعة أدار، 2012 –2013، ص 07 .

[4] ابن فارس : معجم مقياس اللغة، تح : عبد السلام مارون، دار الفكر، ط1، د.م، 1997، ج2، ص 497 .

[5] – أحمد مختار عمرو، معجم مقياس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ط1، جامعة أدرار، 2012–2013، ص 7.

أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1]، وفي هذا المقام، نجد أن لفظة الرحلة في السورة الكريمة هي إنشاء إلى الرحلتين كان العرب يقومون بها في الشتاء والصيف[2].

ب- اصطلاحا: تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح إلا أنها في الأخير تصب في قالب واحد: فقد عرفها الإمام الغزالي[3]: "بأنها نوع من المغالطة مع زيادة في التعب والمشقة جاعلا بذلك الرحلة عبارة عن احتكاك بالأخر مع جهد وتعب عن الانتقال"[4].

أما بطرس بستاني فيعرفها بأنها: "انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر، المقاصد مختلفة وأسباب متعددة"[5].

وهي كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا بذلك انطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وانجاز الرحلة كتابتها يتطلب أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى الكتابة[6].

كما أشار أنور نوقا إلى الرحلة ووصفها: "تمزج التسجيلات الوصفية الاستثنائية التعليمية بالحكائية التسجيلية[7]، كما تعبر الرحلة وفقا لبعض التفسيرات المعاصرة عن الرغبة في الرجوع إلى المصدر أي إلى حالة اللاوعي، ومن ثم تكون الرحلة ضربا من التعبير عن حاجة الإنسان إلى التبرير من أجل هدف فردي أو جماعي لغاية تحقيق منفعة مادية أو روحية[8].

---

[1] – سورة قريش، الآية 1-4.

[2] – سارة روباش : النص والخطاب في الرحلة الجزائرية (مذكرة ماجيستير)، جامعة المسيلة، 2019-2020، ص 05

[3] – هو الشيخ أبو حامد مُحَمَّد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي ولد سنة 450هـ، أنظر: الزركلي ،الأعلام ، ج7 ، ص22

[4] – الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار الكتب العلمية ،ط1 ،بيروت ،ج1، ص 273.

[5] – بطرس بستاني: دائرة المعارف، مطبعة المعارف، د.ط، بيروت، 1984، م8، ص 564.

[6] – سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص 200.

[7] – سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، د.ط، بيروت، 1985، ص 98.

[8] – نادية مُحَمَّد عبد الله: الرحلة بين الواقع والخيال عند أندريه جيد، عالم الفكر، الكويت، 1983، م13، ص 98.

ثانيا: التعريف برحلة ابن خلدون

كان عبد الرحمن بن خلدون شابا لم يتجاوز العشرين، وفي أوج طموحه السياسي وما يحيط بها من دسائر ومكائد، كل هذا يصفه من البدءِ مبكرا في التأليف والتدوين وهو ما زال شابا يافعا، فلم يتخلى عن التدوين والتأليف[1].

واستمر على ذلك في حياته فكانت حافلة بالتأليف والتدوين، ويعد كتاب 'التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا' نوعا من المذكرات الشخصية أو من الترجمة الذاتية، وهو ما يطلق عليه الأوروبيون اسم الأثوبيوجرافيا، لقد سبقه إلى هذا الفن بعض العرب مثل ياقوت الحموي في كتابه 'معجم الأدباء' ولسان الدين بن الخطيب معاصره وصديقه في 'الإحاطة في أخبار غرناطة' إلا أن هذه الترجمة كانت موجزة، أما ابن خلدون فترجمته طويلة، وهو يذكر فيها معظم حوادث حياته والقصائد التي كتبها والرسائل التي أرسلها لبعض الشخصيات الهامة في عصره[2].

فابن خلدون قصر كتابه على التدوين ورصد وتسجل ظواهر خاصة في الحياة عارضا إياها خدمة لهدف سياسي، الترجمة لنفسه والتعريف بحياته ، حياة أثرت محتوى الكتاب بتنقل ابن خلدون في مغارب البلاد الإسلامية[3].

ويقع هذا الكتاب في أربع وثمانين صفحة عبر الفهارس، تحدث فيه ابن خلدون عن نفسه من حيث أسرته وأصلها، ومن حيث نشأته ومشيخته وحاله وأطوار حياته، وتنقلاته ورحلاته في المغرب الأدنى و الأوسط و الأقصى ، وبلاد الأندلس ومصر ، وتحدث عن جوانب تاريخية كثيرة متعلقة بهذه المناطق التي تنقل إليها"[4].

---

[1] – ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تح: عبد السلام شرادي،بيت الفنون ،د.ط ، د.ب ، د.س ، ص 5.

[2] – زينب الخضري: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، 1989، ص 45.

[3] – حسن محمود حسن: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1983، ص 56.

[4] – حسين فردوس: ابن خلدون شاعرا، دار الفكر العربي المعاصر، د.ط، مصر، 2000، ص 40.

ويشمل كذلك على أوصاف دقيقة لأحوال بعض المجتمعات وتصوير رائع لما يكتنفها من ظروف ومن ذلك تصويره الدقيق لحالة الفساد التي كانت تسود شؤون الثقافي في المجتمع المصري حينما تولي وظيفة قاضي قضاة المالكية في مصر، وطريقة تبادل الهدايا بين الملوك والأمراء[1].

إلا أن الهدف الرئيسي للكتاب هو موضح في العنوان أي التعريف بشخصيته وترحاله شرقا وغربا، وهو يقوم معظمه على المزج بين التاريخ العام والترجمة الذاتية، فدخلت هذه الترجمة من بعض نواحيها.

في الفن التاريخي الذي اشتهر باسم الاعترافات، كاعتراف الغزالي في كتابه 'المنفذ من الضلال' واعترافات جون جاك روسو في كتابه 'الاعترافات'[2].

"فبدى ابن خلدون مؤرخا أكثر منه رحالة فجاءت رحلته متضمنة في تاريخه، تمشي مع سياق الأحداث التي عاشها عن قريب أو بعيد، فكانت لهمته الأهمية الأولى والعناية العظمى وبهذا تفسر قلة ما سجله من مشاهدات الرحالة فهو لم يكن يترحل طلبا للرحلة في ذاتها، وإنما تحت قسم الأحداث في الغالب"[3].

"ويحسب كتابه هذا «التعريف» محاولة التحقيق في بعض المسائل على غرار محاولته تحقيق نسبة وعدد أجداده العشرة السابقين عليه في دخول الأندلس، فقد أبدع هذا المؤلف في التعريف بنفسه وكان مجليا في ذلك، وأهدى ابن خلدون وهو بالمغرب النسخة الأولى من كتابه لأبي العباس الحفصي ملك

[1] – علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 128.

[2] –نفسه، ص 239.

[3] – حسين محمود حسين:المرجع السابق، ص 64.

تونس، وهو حين رحل إلى مصر أهدى نسخة أخرى إلى الملك الظاهر برقوق التي سماها بكتاب الظاهري"[1].

أما عن رحلاته فسنذكر رحلته إلى المدينة المنورة نموذجا فتحدث عن تاريخها منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول: "وأما المدينة وهي المسماة بيثرب فهي من بناء يثرب بن مهلائيل من العمالقة، وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز... ثم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالهجرة إليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر إليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد أعده لذلك"[2].

وفي أوائل سنة 802م أخذ الحنين عبد الرحمن بن خلدون إلى السفر لفلسطين وزار بيت المقدس والمسجد الأقصى وأولى القبلتين ويقول في هذه الرحلة: "وصلت إلى القدس ودخلت لما فيها من الإشادة بتكذيب القرآن..."[3].

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا كتاب ركز فيه الكاتب على استعراض سيرته الذاتية فكان ترجمته في أكمل صورته سنة 1901، بعنوان "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، وأضيف إلى هذه الطبقة مقدمة في نحو ثلاثين صفحة، وفهارس في نحو خمس وسبعين صفحة، وكثير من الحواشي والشروح والتعليقات القيمة، فجاءت هذه الطبعة في حوالي خمسمائة صفحة في القطع الكبيرة، وقد عين هذه التقديمة والشروح والتعليقات وأشرف على نشر الكتاب وحققه وضبط كلماته بالشكل وعارضه بأصول الأستاذ مُحَمَّد بن تاويت الطنجي ورجع فيه الكثير من المخطوطة"[4].

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان، الرحلة،المصدر السابق ، ص 348

[2] – نفسه، ص 349– 350.

[3] – ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة،المصدر السابق ، ص 70.

[4] – علي عبد الواحد وافي: المرجع السابق، ص 130.

ثالثا :أهمية الرحلة في البلاد العربية :

تكمن أهمية الرحلات في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ... فتحت الآفات المعرفية، واستقمت العادات البشرية واحتضنت القوافل التجارية، ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية وطرقت أبواب الطرق الدينية الصوفية ورسمت حدود الخرائط الجغرافية لمختلف الأقطار الإسلامية[1].

"و كانت الرحلة عنصرا قويا في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة، فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعوبات السفر ... بل لعل الرحلة كانت أقوى في عهد التفرق السياسي ونوعا من الحياة ولونا من التفكير تحتم على أفراده الاتصال والانجاز والتبادل الفكري والأدبي[2].

فتعد الرحلة هي الأساس في علم الجغرافيا حيث كانت هي السبب والمهد في عملية التوسع الإسلامي كي يعرف طريقه في يسر وقد أدهش هذا التقدم في الفتوحات الإسلامية الكثير من المستشرقين فخلال القرن الواحد تتشكل أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ[3].

فقد أدى الرحالة دور السفراء والممثلين لبلدانهم ومجتمعاتهم في البلدان التي زاروها أو تزاوروها، وكل ذلك كان له أثر في توجيه فكر الأمم وإيقاظ شعورها في التصريح أو التلميع.

ومما نلاحظ في بلاد المغرب أن الملوك والرؤساء قد شجعوا أصحاب الطموح فساعدوهم ورعوا مصالحهم، فاتسعت حركة الأسفار وازدهرت حركة التدوين العلمي والجغرافي، وكان من أهم أسباب تدوين الرحلات هو الحاجة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تربط بين دولة وأخرى، تليها الفئة التي تود

[1] – مُحَمَّد افرخاس، نادي صلاح : رحلات المغاربة إلى المشرق ودورها في تعزيز ثقافة التواصل، د.د، الإمارات العربية المتحدة، د.د. س، ص 2 .

[2] – نقولا زيادة : الجغرافية والرّحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، د.ط، بيروت، 1987، ص 15 .

[3] – حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي في المغرب، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، بيروت، 1982، ص 284.

تدوين مشاهداتها راضين بكل مشقة في سبيل السفر وفي أداء فريضة الحج، فالكتابة في فن الرحلة تلم بالعديد من الجوانب فضلا عن السيرة الذاتية والحكم على المجتمعات.

ومن الممكن أن تكون الرحلة بسيطة لكنها دالة موحية، فقد نقلت من أصابع مؤرخ أو تهميش في عين باحث اجتماعي أو تتراجع أو تندثر لدى رجال الإحصاء، لكنها صدت في عمق إنساني دافئ بقلم أديب سائح، متفاعل بهدوء مع القضية التي يتحدث عنها بنسيج عام من مشاعره وقناعاته الفكرية، والرحلات تعتمد اعتمادا مباشرا أو حيويا على معطيات "العقل" في توفير المادة التي يحتاجها كتاب الرحلة لأن في 'العقل صناديق أمينة لحفظ شذرات من الماضي"[1].

فلقد جاب الرحالة كل الأرض المعمورة في أزماتهم، ودونوا ملامحها الإنسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية وخدموا العلم، كما خدموا الفتوحات الإسلامية خدمات جليلة وفتحوا إمام الطلاب أفاقا جديدة ونوافذ عديدة. فالرحلة بعد كل هذا فيها من المعلومات ما ينتفع بها كل باحث وهي منافع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات ومعرف وعلوم.

وليس من الشك أن السفر جامعة تحتفل بالدروس والعبر، وتحتشد بالعلم والمعرفة، وتشحذ العقل والوجدان، وتزيد في الفهم والإدراك وتصقل الشخص بفضل قساوة التجربة وحرارة الموفق ورهبة المغامرة وطلعة الجديد في كل شأن ومواجهة المفاجآت، وتحصل مشات الغربة والسفر، والاطلاع على الطبائع المختلفة والاعتماد على الغريب والتمرس بمعاملته[2].

[1]- غاستون باشلار: جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للنشر، ط6، بيروت، 2006، ص 108.

[2]- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002، ص 21.

ومن هنا تصبح الرحلة اليد التي تمتد تقرب شعوبا تناءت عن شعوب وأقواما، تفصل بينهما البحار والقفار، وسبحانه من قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]

نستنتج مما سبق أن للرحلة أهمية ودور بارز في البلاد العربية الإسلامية، ولعل أيبرز دور قامت به هو الخدمة الكبرى التي قدمتها لعلم الجغرافيا، فقد كان الرحالة في وصفه للمسالك والممالك معينا جغرافيا لأنه يكتب بقلم الذي اتصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشرا، فرأى وسمع، كما انه كان ذا نفع للمؤرخ ولعالم الاجتماع والأديب وغيرهم.

[1]- سورة الحجرات ، الآية 13.

نتائج الفصل الأول:

ونتيجة لما تطرقنا إليه يتبين لنا أن العلامة ابن خلدون مرَّ بمرحلة جد مهمة من حياته وهي ؛ مرحلة النشأة و التلمذة و التحصيل العلمي:

_كان ابن خلدون إذا سليل أسرة عريقة نابهة وبيت علم ورياسة ، فنشأ في مهاد هذا التراث الذي تلقاه عن أسرته ودرج في حجر أبيه فكان معلمه الأول .

_تمتد المرحلة الأولى من حياته من ميلاده سنة 732هـ إلى سنة 751هـ ، فاستغرق زهاء عشرين عاما هجريا . وقد قضاها كلها في مسقط رأسه بتونس ، وقضى منها نحو خمسة عشر عاماً في حفظ القرآن وتجويده بالقراءات والتلمذة على الشيوخ وتحصيل العلوم.

_درس التفسير والحديث والفقه ودرس النحو واللغة على أشهر أساتذة تونس ، وكانت تونس يومئذ مركز العلوم والآداب في بلاد المغرب .

_تشير حياة العلامة ابن خلدون انه كان رجلا موسوعيا محبا للعلم وصاحب نظرة سديدة في شتى المجالات .

الفصل الثاني: ابن خلدون و الأوضاع السياسية في بلاد المغرب

- الحياة السياسية و رحلاته في بلاد المغرب
- النكبة في بلاط بني مرين
- نشاطه السياسي في المغرب بعد رحلته الأولى إلى الأندلس

تمهيد:

يجدر بنا قبل أن نتتبع المؤرخ في أدوار حياته السياسية، و تقلباته في دول المغرب و قصوره أن نذكر بشيء من الإيجاز كلمة عن أحوال هذه الدول والقصور.

انقسم المغرب إلى دويلات صغيرة منها دولة بني مرين بالمغرب الأقصى و دولة بني زيان بالمغرب الأوسط و دولة بني حفص في المغرب الأدنى ، و قد كان المناخ السياسي في المغرب مضطربا لدرجة كبيرة ، و كانت الفتن كثيرة الوقوع و بالجملة كانت كل واحدة من هذه الدول عدوة لجارتها المباشرة حليفة للتي بعدها ، ما جعلها تعيش في حروب لا تهدأ و لاقف .

وقد بقي الصراع بعد انقراض الموحدين و قد قوى هذا الصراع وزاد من تفاقم الأوضاع ، قيام إمارات في كل من بجاية و قسنطينة و استقلال القبائل الكبرى، وعدم استقرار ولائها لهذا الجانب أو ذاك .

في خضم هذه الظروف السيئة خاض ابن خلدون معترك السياسة ، كما لاقى مكائد و مغامرات سنقف إليها جملة و تفصيلا في هذا الفصل .

المبحث الأول : الحياة السياسية و رحلاته (في المغرب) .

عرفت حياة ابن خلدون انعطافا كبيرا ، حيث انتقلت من مرحلة التحصيل العلمي إلى دخول معترك الحياة السياسية وهو في سن الثامنة عشر من عمره حدث حادثان خطيران عاقاه عن متابعة تحصيله العلمي و كان لهما الأثر البليغ عن مجرى حياته .

فالحدث الأول هو حادث الطاعون انتشر سنة 749هـ في معظم أنحاء العالم شرقية و غربية في البلاد الإسلامية من سمرقند إلى المغرب [1].

[1]-علي عبد الواحد وافي : المرجع السابق، ص 39.

وقد بلغ على ألسنة الثقات أنه هلك في يوم واحد بتونس (وهي بلد ابن خلدون حينئذ) ألف نسمة ومائتا نسمة ،و بتلمسان سبعمائة نسمة ، وهلك بجزيرة ميورقة في يوم واحد ألف نسمة... ويسميه ابن خلدون " الطاعون الجارف " و يصفه بأنه كان نكبة كبيرة " طوت البساط بما فيها " .

و على أي حال فكان من كوارث هذا الطاعون في حياة ابن خلدون أنه هلك أبويه و جميع من كان يأخذ عنهم العلم من شيوخه [1].

و في هذا يقول : " لم أزل منذ نشأت ، وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دور العلم و حلقاته ، إلى أن كان الطاعون الجارف ، و ذهب بالأعيان و الصدور ، و جميع المشيخة ، و هلك أبواه رحمهما الله ".

ويقول في موضع آخر متحسرا على وفاة أستاذه ابن عبد المهيمن في هذا الطاعون " ثم جاء الطاعون الجارف ، فطوى البساط بما فيه ، و هلك عبد المهيمن فيمن هلك و دفن بمقبرة سلفنا بتونس " [2].

و أما الحادث الآخر فهو هجرة معظم العلماء و الأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء الجارف من تونس إلى المغرب الأقصى سنة 750هـ ، و قد إستوحش ابن خلدون لهذين الحادثتين أيما إستيحاش وتعذر عليه من بعدها متابعة دراسته ، فعزم في الخروج إلى المغرب الأقصى لتتاح له متابعة دراسته مع من نزح منهم إلى هناك من العلماء و لكن صده عن ذلك مُحَمَّد أخاه الأكبر.

و كل هذه الأحداث غيرت مجرى حياته فأخذ يتطلع إلى تولي الوظائف العامة [3].

[1]-نفسه ، ص 39

[2]-ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص 55.

[3]-علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص 40.

أولا : كتابة العلامة بتونس .

استدعاه الوزير مُحَمَّد بن تافراكين[1] إلى العمل في الديوان لكتابة العلامة للسلطان أبي إسحاق الحفصي[2] . و هي (كتابة الحمد لله و الشكر لله) ، بالقلم الغليظ ما بين البسملة و ما يعادلها من المخاطبة أو المرسوم فقبل العمل في هذه الوظيفة ، ذلك لأنه كان يرمي من ورائها إلى هدف بعيد ألا و هو إتخاذ هذه الوظيفة وسيلة للرحلة من تونس إلى المغرب حيث نزح بعض شيوخه و أصحابه . و من أجل ذلك كان يتحين الفرص التي كانت تتاح له في أثناء هذه المرحلة ليعاود القراءة و الإطلاع ، و تلقي العلم و تدريسه ، و ليرضى ذلك أكبر رغبة كانت كامنة في نفسه ، وهي رغبة عميقة امتازت بها شخصيته الحقيقية و أفاد منها التراث الإنساني أكبر فائدة ، و سجلت اسمه في عالم الخلود[3].

كانت مشاركته في أول عمل سياسي أواخر سنة 751 هجري ، و يذكر لنا صاحب الرحلة في هذا الصدد فيقول : " و خرجت معهم أول سنة ثلاثة و خمسين . و قد كنت منطويا على مفارقتهم ، لما أصابني من الإستيحاش لذهاب أشياخي ، و عطلتي عن طلب العلم "[4] .

ثانيا : رحلته إلى بسكرة .

في أوائل سنة 753 هجري زحف أمير قسنطينة أبو زيد حفيد السلطان أبي يحي الحفصي على تونس لينتزع تراث آبائه من قبضة الغاضب ابن تافراكين فسار ابن تافراكين في جنده للقائه ، و سار معه

---

[1]-تافراكين ، هو أبو مُحَمَّد عبد الله بن تافركين أو تافرجين حاجب البيت الحفصي ، وبنو تافراكين هؤلاء من بيوت الموحدين في تينمل من الخمسين وليّ غبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين كبيرهم على فاس ، انظر: الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية ، تح و تع : مُحَمَّد ماضود ، المكتبة العتيقة ، د ط، تونس ، د س ، ص 91.

[2]-أبي إسحاق الحفصي : تولى الخلافة بتدبير من الوزير ابن تافراكين وهو لا يزال غلاما هذا ما عرفه عبد الرحمن بما يعرض للدول من حجز السلطان و الإستبداد عليه توفي بما يعرفه بموت الفجأة عام 770 هجري ، أنظر:ابن الشماع الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح: الطاهر ابن مُحَمَّد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، د ط ، د م ، 1984م ، ص-ص 101-106 .

[3]-عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 43 .

[4]-ابن خلدون عبد الرحمان : المصدر السابق ، ص 56 .

في ركبه ابن خلدون . ووقعت بين الفريقين عدة معارك انتهت بهزيمة جيش ابن تافراكين ففر ابن خلدون خفية ناجيا بنفسه من المعسكر ، و سار مطوفا في البلاد حتى ألقى عصا التسيار في بسكرة (من بلاد الجزائر بالمغرب الأوسط) حيث قضى شتاء ذلك العام . و يظهر أنه قد تزوج في أثناء هذه الفترة من أسرة من بلدة قسنطينة و أن زواجه كان حوالي سنة 754 هجري ، و إن كان ابن خلدون لا يحدثنا عن أهله و ولده في كتاب التعريف إلا حينما يقص بعد ذلك نبأ رحلته إلى الأندلس [1] .

ثالثا : رحلته إلى بجاية (الأولى) .

وبعد أمد غير بعيد من نزوله إلى بسكرة ضيفا مكرما لدى صاحبها يوسف بن مزني حتى خرج منها قاصدا السلطان أبا عنان وهو يومئذ بتلمسان فلقيه على الطريق ابن أبي عمر و صاحب بجاية آيباً من تلمسان فصرفه عن قصد أبي عنان و حمله على المسير معه إلى بجاية ليغتبط بصحبته ، و تزدهي بمثل ابن خلدون أيام دولته[2] .

ويذكر لنا هذا ابن خلدون على النحو الآتي : " وارتحلت أنا من بسكرة وافدا على السلطان أبي عنان بتلمسان ، فلقيت ابن أبي عمر بالبطحاء ، و تلقاني من الكرامة بما لم أحسبه ، وردني معه إلى بجاية ، فشهدت الفتح ، و تساءلت وفود إفريقية إليه ، فلما رجع السلطان ، وفدت معهم فنالني من كرامته وإحسانه ما لم أحتسبه ، إذ كنت شابا لم يطر شاربي ، ثم انصرفت مع الوقود ، و رجع ابن عمر إلى بجاية فأقمت عنده ، حتى انصرم الشتاء من أواخر أربع و خمسين "[3].

[1]–علي عبد الواقي : المرجع السابق ، ص43 .

[2]–محمد الخضر : المرجع السابق ، ص 08 .

[3]–ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص 58 .

رابعا : ابن خلدون في قصور الدولة المرينية :

كان ابن خلدون منذ طفولته يتطلع إلى أن يكون في قصور الملوك المرينيين الذين استطاعوا أن يسرد الجزء الأكبر من الإمارات التي كانت خاضعة لدولة الموحدين ، و أقاموا دولة حاولت أن تعيد أمجاد دولة الموحدين و المرابطين من قبل ، إلا أن ذلك الأمل كانت تعترضه ظروف و أحداث أدت إلى قيام دويلات و إمارات متعددة ، نتيجة ثورات متلاحقة .

و كما هو معلوم أن السلطان المريني ابن حسن استطاع أن يوحد أقطار المغرب ، باستلائه على تلمسان و قضى على دولة " بني عبد الواد " ثم تابع طريقه إلى المشرف فاستولى على بجاية التي كانت خاضعة لحكم الأمراء الحفصيين ، ونقل أميرها الحفصي إلى تلمسان ، وبعد ذلك وصل إلى تونس و استولى عليها ، و أعاد بناء الدولة المغربية الواحدة من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى تحت قيادة الدولة المرينية[1].

إلا أن الأمراء الحفصيين كانوا يتطلعون إلى استعادة سلطتهم ، و كانوا يؤلبون القبائل على الثورة مما جعل تلك القبائل تستجيب لهم حينا ، وتثور عليهم حينا آخر ، و يبدوا و أن تلك القبائل كانت تتعاون مع السلطان الأقوى ، القادر على فرض سيطرته ، و عندما تضعف سلطته فسرعان ما كانوا يثورون عليه، و يتعاونون مع منافسيه ، كان المغرب يعيش مرحلته انحطاط خطير بسبب ذلك الإنقسام والتمزق وليس من الغريب أن تتطلع الإمارات والدول إلى المغرب الأقصى ، مقر دولة المرنيين التي حاولت بجهد صادق أن تعيد الأمجاد ، و أن توحد البلاد في دولة واحدة إلا أن الفردية و التطلع إلى السلطة ، كانت من أهم عوامل السقوط و الإنهيار ، و التفرق و التشرذم[2].

[1] –مُحَمَّد فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت 1198 ، ص 40 .

[2] – مُحَمَّد فاروق النبهان ، المرجع السابق ، ص 40 .

عاش ابن خلدون هذه الفترة العصيبة من التاريخ بلاد المغرب ، كان يراقب الأحداث و يعيشها و يشارك فيها ، و يتحرك بتحركها ، ووجد نفسه دمية في موكب صاحب عابث .

وفي هذه الأثناء حاول عبد الرحمن ابن خلدون أن يلتقي بالسلطان أبي عنان في تلمسان ، و قدم ولاءه و طاعته فأكرمه السلطان المريني ، و قربه إليه و ضمه إلى حاشيته ، و عينه عضوا في مجلسه العلمي في فاس ثم اختاره لكي يكون من كتابه و موقعه على المراسيم و القرارات السلطانية ، وكان ذلك عام 755 هجري [1] .

هكذا تطلع العلامة إلى قصور فاس ، حيث مقر الدولة المرينية ، ووصف انتقاله إلى فاس قوله:

" وعاد السلطان أبو عنان إلى فاس ، وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه ، و جرى ذكرى عنده ، و هو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني ، ووصفوني له ، فكتب إلى الحاجب يستقدمني ، فقدمت عليه ، سنة خمس وخمسين و نظمني من أهل مجلسه العلمي ، و ألزمني شهود الصلوات معه ، ثم استعملني في كتابته ، و التوقيع بين يديه ، على كره مني ، إذ كنت لم أعهد مثله ، و عكفت على النظر و القراءة و لقاء المشيخة ، من أهل المغرب، ومن أهل الأندلس الوافدين في غرض السفارة و حصلت من الإفادة منهم على البغية " [2] .

نلاحظ أن ابن خلدون الذي نجا بنفسه إثر هزيمة الوزير تافراكين قد استطاع أن يلحق نفسه بالموكب الصاعد للسلطان المريني أبي عنان ، وخلال فترة وجيزة استطاع أن يحظى بثقة السلطان المريني ، و أن يكون من المقربين إليه ، مع أنه كان صغير السن لم يتجاوز بعد الثالثة و العشرين من عمره .

إلا أن ذلك الحلم كان يعاوده بين الفينة و الأخرى فيدفعه إلى التطلع و الطموح ، و يبعث في نفسه الرغبة المتجددة ، لكي يوقظ تاريخ الأجداد ، و أن يحقق ما حققوه من مجد و رئاسة و جاه و مكانة

[1] – محمد فاروق النبهان ، المرجع السابق ، ص 25 .

[2] –ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق، ص 59 .

، و بالرغم من أن المنصب الذي عهد به إليه السلطان المريني كان من المناصب التي تتطاول إليها الأعناق ، فإن ابن خلدون كان يتطلع لما هو أكثر منه ، و يلح عليه ذلك التطلع ، ويقض عليه مضجعه المريح ، و يدفعه إلى ذلك أن يغامر و يقامر،بكل رصيده[1].

قد يكون دافعه إلى ذلك أنه كان من يتابع أخبار تاريخ المغرب ، و يرى أمام عينيه تلك التحولات الخطيرة و ذلك الصعود و السقوط المتتالي الذي يجعل الرهان على فرس واحدة من المغامرات التي قد تفقد الإنسان الطموح و القدرة على الحركة و المناورة في ظل تغير الأحوال ، وتبدل الظروف وبخاصة و أن ابن خلدون قد شهد أمام ناظريه خلال سنوات قليلة ذلك الصراع الرهيب الذي جرى بسرعة خاطفة في بلاد المغرب[2].

و أتيحت الفرصة لابن خلدون خلال مقامه بفاس أن يتصل بعلماء عصره ، وأن يأخذ عنهم العلم ،و كان هذا من مطامحه عندما كان في تونس ، إذ وجد أن السلطان المريني أبا الحسن قد أخذ معه عند عودته من تونس كبار العلماء ، لكي يكونوا في عاصمة بلاده ، و حاول ابن خلدون أن يكون في ركب السلطان في ذلك الحين ، إلا أن هذه الأمنية لم تتحقق له، و عندما استدعاه الوزير تافراكين " أمام جيوش الأمير الحفصي القادم من قسنطينة لاسترداد ملك أجداده من يد الوزير المغتصب " [3].

كان عمر ابن خلدون في هذه الأثناء اثنين و عشرين عاما . أمضى منها سنتين في قصور بني مرين ، لم ينسى خلالها أن يلتمس العلم ويجد في طلبه ، فيذكر أنه تلقى الحكم على يد مجموعة من علماء المغرب و الأندلس يذكر منهم مُحَمَّد الصفار "من أهل مراكش إمام القراءات لوقته " و أبو عبد الله مُحَمَّد المقري قاضي الجماعة بفاس . و أبو البركات مُحَمَّد بالأندلس و أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الشريف

[1]-مُحَمَّد فاروق النبهان ،المرجع السابق ، ص 25 .

[2]-مُحَمَّد فاروق النبهان،المرجع السابق ، ص 25 .

[3]-نفسه ، ص 40 .

الحسني المعروف بالعلوي و أبو قاسم مُحَمَّد بن يحي البرجي كاتب السلطان أبي عنان و صاحب الإنشاء في – دولته – و أبو عبد الله ابن عبد الرزاق [1] .

ويحرص ابن خلدون في ختام حديثه هذا أن يشير إلى أن من ذكرهم من الشيوخ قليل من كثير ممن لقيهم هناك و أخذ عنهم ومنحوه الإجازات العلمية فيقول بعد أن نوه بمن تقدم ذكرهم : " ... إلى آخرين و آخرين ، من أهل المغرب و الأندلس ، كلهم لقيت وذاكرت وأفدتُ منه ، و أجازني بالإجازة العامة"[2].

المبحث الثاني: النكبة في بلاط بن مرين .

أولا: حدوث النكبة من السلطان أبي عنان ودخوله السجن :

لم يمضى على انتظامه في بلاد فاس عامان حتى تحركت نفسه إلى خوض غمار الدسائس السياسية ليحقق عن طريقها مطامحه وآماله، فعلى الرغم من أن أبا عنان لم يدخر وسعا باعتراف ابن خلدون نفسه في إكرامه والعطف عليه، إذ اختصه بمجلسه العلمي للمناظرة ، و ولاه في حداثة عهده بالوظائف الحكومية من منصب الكتابة والتوقيع عنه على الرغم من ذلك كله،تآمر عليه هو والأمير عبد الله الحفصي صاحب بجاية المخلوع وكان حينئذ أسيرا في فاس[3].

ونظرا للعلاقة الوثيقة التي كانت بين الأمراء الحفصيين والأسرة الخلدونية، وذلك التعاطف التاريخي بين أجداد أسرتين، والتعاون في مجال العمل السياسي، فقد قامت علاقة وثيقة بين "ابن خلدون" والأمير الحفصي أبي عبد الله مُحَمَّد" صاحب بجاية أثارت شبهات حول طبيعة تلك العلاقات وحدودها

[1]–إسماعيل سراج الدين : مع ابن خلدون في رحلته ، تح: خالد عزب ، كتاب اليوم ، القاهرة 2006 ، ص 28 .

[2]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص 66 .

[3]–علي عبد الواحد ،المرجع السابق ، ص 46 .

وأهدافها استغل خصومه تلك العلاقات والمداخلة بين ابن خلدون والأمير الحفصي وسرعان ما وجد نفسه أسير مؤامرة نسبت إليه،ودست عليه ودخل بسببها السجن الرهيب لمدة سنتين .

وفي هذه الصدد يقول المقريزي تقي الدين في كتابه درر العقود الفريدة:"....فأعزوا به السلطان إغراءا عضده ما جبل عليه أبو زيد من إغفال التحفظ مما يريب لديه بأن صادق الأمير مُحَّد صاحب بجاية من الموحدين و داخله مداخلة غفل عن التخطيط فيها من غيرة السلطان . فلما شغل أبو عنان بمرضه ، نمَّ إليه الغواة و الحسدة أن أمير بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده ، وقد كان فيها يومئذ وزير أبي عنان عبد الله بن علي ، وأن أبا زيد ابن خلدون عاقده على ذلك ليكون حاجبه ، فأنبعث أبو عنان لذلك وقبض عليهما ".[1]

ثانيا : دخوله السجن .

كما سبق لنا ذكره أنه بلغ أبا عنان خبر هذه المؤامرة فقبض على ابن خلدون و على الأمير المخلوع كليهما و سجنهما ، وكان ذلك سنة 758 هجري ، ثم أطلق سراح الأمير ، و لكنه أبقى ابن خلدون في السجن[2]. وكانت هذه النكبة أول ما لقيه ابن خلدون من بلاء السياسة و أيقن بها أن إقبال الدولة سرعان ما يلقى إدبارا وأن عزا تبنيه للرجل صباحا قد يأتي عليه مساءا ، فإذا هو الدرك الأسفل من الهوان[3].

ظل ابن خلدون سجينا زهاء عامين طويلين ، لم ينقطع في أثناءهما عن التضرع إلى السلطان و استغفاره. ولكن السلطان كان يعرض عن كل تضرع إلى أن رفع إليه سنة 759 هجري قصيدة مؤثرة

[1]–المقريزي تقي الدين احمد بن علي ،درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ،تح : مُحَّد الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، بيروت ، مج 2 ،ص 389 .

[2]–علي عبد الوافي ، المرجع السابق ، ص 47 .

[3]–مُحَّد الخضر ،المرجع السابق، ص 46 .

في نحو مائتي بيت . فرقَّ قلب السلطان له ، ووعد بالإفراج عنه ولكن الموت عاجله في آخر السنة نفسها قبل أن ينجز وعده [1].

يصف ابن خلدون هذه المرحلة الدقيقة من حياته و سلوكه فيقول " كان اتصالي بالسلطان أبي عنان آخر سنة ست و خمسين (و سبعمائة) ، و قربني و أدناني ، و استعملني في كتابته ، حتى تكدر الجو عنده ، بعد أن كان لا يعبر عن صفاته ثم اعتل السلطان ، آخر سبع و خمسين و كانت قد حصلت بيني و بين الأمير مُحَمَّد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكما ما كان لسلفي في دولتهم ، و غفلت عن التحفظ في مثل ذلك من غيرة السلطان فما هو إلا أن شغل بوجعه حتى أنمى إليه الغواة أن صاحب بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده . وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن علي فانبعث السلطان لذلك و بادر بالقبض عليه . وكان فيما أنهى إليه أني داخلته في ذلك فقبض علي و امتحنني (أي سلط علي محنة و عذاب و حبسني وذلك في الثاني عشر صفر سنة ثمان و خمسين . ثم أطلق الأمير مُحَمَّدا ، ومازالت أنا في اعتقاله ، إلى أن هلك "[2]

و يروي ابن خلدون أن السلطان أبا عنان رق قلبه و وعده بالإفراج عنه ، إلا أن المنية عاجلته و أفرج عنه فيما بعد ، ليواصل مسيرته في ميدان السياسة يتقلب من إلى آخر ، و يعطي الولاء ثم نجده ينسحب في الوقت المناسب عندما يجد الظروف تستدعي ذلك[3].

ثالثا : ابن خلدون في قصر فاس و الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر و الإنشاء.

لم يمضى وقت طويل حتى استطاع ابن خلدون أن يستعيد قصر الدولة المرينية إلى جانب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن الذي نفاه أخوه السلطان أبو عنان إلى الأندلس بعد أن وثب على عرش أبيه .

---

[1]–علي عبد الواقي : المرجع السابق ، ص 46 .

[2]–ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص 66

[3]–منصور ابن سليمان ابن منصور ابن علي أبي مالك ابن يعقوب ابن عبد الحق المريني ،كان من الشقوق في أيام أبي عنان ، بحيث أرجف الناس بأن ملك أبي عنان بعد موته صائر إليه . أنظر : عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر ، المصدر السابق ، ج 7 ص 302 / 305 .

وبالرغم من أن الوزير " الحسن بن عمر " الذي استبد بالسلطة بعد وفاة السلطان أبي عنان، قد أفرج عن ابن خلدون و أكرمه و أعاده إلى مكانه ، فإن ابن خلدون كان يعرف جيدا أن الوزير قد أقصى ولي العهد أبا زيان ، و أقام مقامه أخاه الصغير السعيد ابن أبي عنان لكي يستبد بالأمر .ولهذا فإن سرعان ما انتفض عليه بنو مرين و أقصوه عن السلطة ، و انتزعوا العرش من السلطان الصغير السعيد وولوا مكانه " منصور ابن سليمان " أحد أفاد مؤسس الدولة المرينية ولما وثب منصور ابن سليمان[1] على الوزير الحسن ابن عمر، و انتزع من يده السلطان، انقلب ابن خلدون على الوزير الحسن ابن عمر ناسيا فضله عليه، إذ أطلقه من الأسر و شمله بإحسانه و رعايته ، و أخذ ابن خلدون كعادته يتقرب إلى السلطان الجديد ، و مازال به حتى ولاه وظيفة الكتابة [2] (استعمل ابن خلدون في كتابة سره و الترسيل عنه و الإنشاء لمخاطبته) و كان أكثرها يصدر عنه بالكلام المرسل .

وينوه ابن خلدون بأنه نهج يومئذ في كتابة الرسائل نهجا جديدا ، إذ تحرر من قيود السجع وكان يومئذ قاعدة الكتابة و عدل عنه إلى السهل المرسل .

ووصف ذلك ابن خلدون بقوله: "فقصدني ابن مرزوق في ذلك، و أوصل إلي كتابة السلطان أبي سالم، بالحضُ على ذلك،وآمال الوعد فيه، وألقى علي جمله، فنهضت به وتقدمت إلى شيوخ بني مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك، حتى أجابوا...فلما تم عقدهم على ذلك ، نزعت إلى السلطان أبي سالم في طائفة من وجوه أهل الدولة...فلما قدمت على السلطان بالصفيحة ، بما عندي من أخبار الدولة وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان ، بالموعد الذي ضربوه لذلك واستحثته فارتحل"[3].

[1]–مُحَمَّد فاروق النبهان ،المرجع السابق ، ص 45 .

[2]–فردوس علي نور حسن ، ابن خلدون شاعرا، دار الفكر العربي ، د.ط ، نصر ، 200 ، ص 31 .

[3]–ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق ،ص 69

ويقول لنا أيضا أن شاعريته تفتحت في هذه الفترة فنظم الكثير من الشعر الذي " يتوسط بين الإبادة و القصور " وأنشد السلطان الكثير من القصائد في مختلف المناسبات ، وكان ن أشهر و أبدع ما نظمه في ذلك الوقت ، قصيدة طويلة رفعها إلى السلطان ليلة المولد النبوي (سنة ثلاث و ستين) يعدد فيها مناقب النبي الكريم و معجزاته[1].

ومع هذا فإننا نجد ابن خلدون يتفوق في قصر السلطان أبي سالم ، ويتصرف إلى خطة المظالم ، و يعلو شأنه ، ويبرز في الميدان كفارس لا يقهر ، يثير الإعجاب بشخصيته ، ويلفت الانتباه إلى ما حياه الله به من مزايا و خصائص ،فتظهر من جديد مقام الحسد ، وتنطلق الوشايات متلاحقة تحاول مطاردة ابن خلدون ، وإسقاطه ،ويقود هذه الحملة عليه صديقه " ابن مرزوق "محاولا بذلك إبعاد ابن خلدون عن مجالس السلطان ، ساعيه بالوشاية والفتنة ، خوفا من نفوذ ابن خلدون[2] .

و نجد ابن خلدون يذكر لنا ذلك فيقول :

" ولم يزل ابن مرزوق آخذا في سعايته بي وبأمثالي من أهل الدولة غيرة ومنافسة إلى أن انتقض الأمر على السلطان بسببه "[3].

ويبدو أن ابن مرزوق كان مسيطرا على السلطان ، مؤثرا فيهم ممسكا بكامل خطوط السلطة ، طاغية الطبع أناني التكوين ، يحقد على من يجد فيه الأهلية ، و يسخط على من لا يخلف رأسه له ، مما أدى إلى إثارة النقمة على السلطان و اتسعت دائرة المعارضين و الثائرين حتى قام الوزير" عمر ابن عبد الله" صهر السلطان بالثورة عليه ، و نادى بخلعه وتعيين أخيه تاشفين سلطان على المغرب

[1]–عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 29 .

[2]–محمد فاروق النبهان ،المرجع السابق ، ص 49 .

[3]–ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص 77 .

وحاول السلطان أبو سالم مقاومة الثورة ، إلا أن الوزير كان قد حسم الأمر لصالحه واستبد بالسلطة وقبض على أبي سالم[1].

فغضب ابن خلدون واستقال من وظائفه فأعرض عنه الوزير و تنكر له ، فتوجس ابن خلدون شرا منه ورغب في الارتحال عنه ، ولجأ إلى الوزير مسعود ابن رحو ، ليشفع له في ذلك عند عمر بن عبد الله.

آثر ابن خلدون حينئذ الرحلة إلى " غرناطة " بالأندلس ، وقصد إليها في أوائل سنة 764 هجري سنتطرق إلى موضوع الرحلة إلى الأندلس جملة و تفصيلا في الفصل الثالث [2].

ومما نلاحظه أن ابن خلدون قضى مدة ثمان سنين بالمغرب الأقصى، فقضى منها نحو عامين في سجن بمدينة فاس (758 – 760) ونحو ستة أعوام قضاها موظفا، وقد عمل مع ثلاثة أمراء ووزيرين مستبدين على النحو التالي:

أولا: السلطان أبو عنان بفاس، وكان ابن خلدون عضوا في مجلسه العلمي واحد كتابه موقعيه (755 إلى أوائل 758 هـ) وقد قضى بعد ذلك سنتين في سجن فاس (758 – 760).

ثانيا: الوزير الحسن بن عمر بفاس، وقد أفرج عن غبن خلدون و ولاه وظائفه السابقة (760 هـ).

ثالثا: السلطان منصور بن سليمان بفاس، وقد تولى في عهده وظيفة الكتابة (760هـ).

رابعا: السلطان أبو سالم، بفاس وقد تولى في عهده شؤون كتابة السر والإنشاء والمراسيم، ثم تولى " خطة المظالم " (760 إلى 762هـ).

خامسا: الوزير عمر بن عبد الله بفاس، وقد تولى في عهده الوظائف السابقة نفسها (763-764هـ).

[1]-مُحَمَّد فاروق النبهان ،المرجع السابق ،ص 49

[2]-علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ،ص 56 .

المبحث الثالث: نشاطه السياسي في المغرب بعد رحلته الأولى في الأندلس.

أولا: في بجاية وتوليه الحجابة:

يقول ابن خلدون: " وركبت البحر من ساحل المرية[1] منتصف ستة وستين، ونزلت بجاية لخامسة من الإقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومي وأركب أهل دولته للقائي وتهافت أهل البلد على من كل أوب يمسون أعطافي ويقبلون يدي وكان يوما مشهودا ثم وصلت إلى السلطان، فحيا وفدي وخلع وحمل و أصبحت من الغد وقد أمر أهل السلطان أهل الدولة بمباركة بابي واستقلت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه وقدمني للخطابة بجامع القصبة"[2].

وصل ابن خلدون إلى بجاية في منتصف سنة 766هـ استقبله أميرها وأهلها استقبالا حفيا، وتولى الحجابة لأمير بجاية وكان منصب الحجابة هو أعلى المناصب في الدولة، وقد عرف ابن خلدون بأنه يمنح صاحبه " الاستقلال في الدولة " والوساطة بين السلطان وأهل دولته، لا يشاركه في ذلك احد"[3]

فبلغ بذلك ابن خلدون قمة مطامحه، فهو من جهة المستقل بأمر الدولة، ومن جهة أخرى المتحدث والخطيب بمسجد القصبة ولكن ذلك الوضع لم يدم طويلا، فما هي إلا سنة حتى نزل ابن خلدون من تلك المرتبة بسبب الأحداث والتطورات التي عرفها المغرب الأوسط.

ذلك أن الأمير أبا عبد الله الحفصي صاحب بجاية سرعان ما دخل في نزاع مسلح مع غبن عمه أبي العباس صاحب قسنطينة الذي هزمه مرتين، الأولى بفرجيوة أواخر سنة 706هـ والثانية قرب سطيف

[1] – المرية: هي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس،أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 119.

2– ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر ، المصدر السابق ، ج7، ص 56.

[3] – علي عبد الواقي ، المرجع السابق ، ص 60.

في أوائل السنة الموالية، ولم يستطع أمير بجاية مواجهة الحروب مع إبن عمه ومع بني عبد الواد[1] بتسوية الخلاف الذي نشأ بينهما في شأن تدلس.

وحسب ابن خلدون أن الأحوال لم تتحسن في إمارة بجاية، وازداد الوضع تدهورا وفي ذلك يقول صاحب الرحلة: " ثم نهض السلطان أبو العباس صاحب قسنطينة وجاس أوطان بجاية، وكاتب أهل البلد ، وكانوا وجلين من السلطان أبي عبد الله بما كان يرهف الحد لهم، ويشد وطأته عليهم، فأجابوه إلى الانحراف عنه، وخرج السلطان أبو عبد الله يروم مدافعته ونزل جبل ليزو معتصما به، فبيتة السلطان أبو العباس في عساكره وكسبه في مخيمه هاربا فلحقه وقتله، " وكان فقدان أمير بجاية لمملكته وحياته على يد ابن عمه صاحب قسنطينة وهي الحادثة التي كانت شديدة الوقع على نفس ابن خلدون، وشكلت نقطة تحول خطيرة في نفسه وسلوكه[2].

وكان حينئذ صاحب الرحلة يلزم القصر في بجاية، وقد طلب إليه بعض الزعماء أن يدعو لصبي من أبناء السلطان القتيل ويقوم هو بالأمر باسم هذا الصبي، ولكنه آثر العافية، وأبى أن ينقذ ما أشار به عليه هؤلاء الزعماء، وخرج إلى تحية الظافر، والانطواء تحت لوائه، وسلمه المدينة، ويصف ابن خلدون هذا الموقف فيقول: " وجاءني الخبر بذلك ، وأنا مقيم بقصبة السلطان وقصوره، وطلب من جماعة من أهل البلد القيام بالأمر والبيعة لبعض الصبيان من أبناء السلطان، فتفاديت من ذلك، وخرجت إلى السلطان أبي العباس، فأكرمني وحياني وأمكنته من بلده "[3]

[1] – أبي حمو: الثاني تولى الحكم سنة 760هـ/1359م، أنظر: مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك حسان مقتطف من نظم الدر والعقبات في بيان شرف بني زيان، تح: مُحَمَّد آغا بوعايد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص 157.

[2] – مُحَمَّد بن معمر ،صورة المغرب الأوسط من خلال رحلة ابن خلدون ، مجلة الحضارة الإسلامية ،العدد 15 ، جامعة وهران ، شعبان 1432 هـ-2011 م

[3] –علي عبد الوافي ،المرجع السابق ،ص 61

أقام ابن خلدون في بسكرة بعد خروجه من بجاية، وقد سئم حياة القصور ومخالطة السلاطين والأمراء، وأصابته حالة من اليأس، دفعته أن يختار حياة جديدة لا يعرض نفسه فيها إلى تلك المخاطر والمغامرات وبخاصة أنه قد أدرك أن الحياة السياسية في بلاد المغرب كانت متقلبة، عاصفة، لأن القبائل الكبيرة كانت تتحالف مع هذا السلطان، ثم تنقض ذلك التحالف إلى تحالف جديد، مما جعل السلاطين يعيشون حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، يقتل بعضهم البعض الآخر، ويتنافسون على المناصب، ويتزاحمون على السلطة[1].

ثانيا: عودته إلى المغرب الأقصى:

ولم يستطع ابن خلدون البقاء في بسكرة لأنه أنس في نفس أميرها أحمد بن يوسف تغييرا وإنقباضا، وعندئذ غادر بسكرة إلى تلمسان ، وفي الطريق بلغه نبأ وفاة السلطان عبد العزيز، وتوليه ابنه السعيد في كفالة وزيره ابن غازي، وكان ذلك عام 764هـ وعندئذ قرر التوجه إلى فاس إلا أن أبا حمو صديقه القديم الذي استدرك في التحريض عليه، أرسل عصابة اعترضت طريقه في الصحراء وسلبت كل ما معه، واستطاع الإفلات من ذلك الأسر ووصل إلى فاس في حالة سيئة، استقبله الوزير إبن غازي الذي استبد بالأمر في فاس، وأكرمه وشمله برعايته.[2]، وسرعان ما استقر الأمر بابن خلدون في فاس، من جديد، نتيجة بروز أميرين يطالبان بعرش المغرب، هما الأمير أحمد ابن سلطان أبي سالم، والأمير عبد الرحمان المريني واستطاع هذا التحالف بين الأميرين أن يحقق لهما النصر على ابن غازي.[3]

ثالثا: عودته إلى تلمسان:

جاز ابن خلدون البحر من الأندلس إلى مدينة تلمسان فوصل إلى مرسى هنين على مقربة من مدينة تلمسان في سنة 776هـ إلى طلب أميرها منه الدعوة له بين القبائل، لكن ابن خلدون كان قد ركن

[1]- ن علي عبد الوافي ،المرجع السابق ،ص 61

[2]- محمد فاروق النبهان: الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص 61.

[3]- نفسه ، ص 62.

إلى الإسلام طالبا للعلم، فنزح إلى البطحاء ومنها إلى مدينة منداس حيث نزل في أحياء بني عريف قبالة جبل كزول، حيث أكرموه وأنزلوه مع أسرته في قصر أبي بكر بن عريف أحد قصورهم في قلعة ابن سلامة من بلاد توجين، فقطع ابن خلدون في ذلك المقر الثائر مدى أربعة أعوام، نعم خلالها بالاستقرار بعيدا عن غمار السياسة والدسائس السلطانية وألقى أول مرة فرصة واسعة للبحث والتدريس.[1]

ويصف لنا صاحب الرحلة هذه المرحلة فيقول: " وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت إلى البطحاء، فعدلت ذات اليمن إلى منداس، ولحقت بأحياء أولاد العريف قبلة جبل كزول، فتلقوني بالتخفي والكرامة ، وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلي وولدي من تلمسان، وأحسنوا العذر إلى السلطان عنى في العجز عن قضاء خدمته، وأنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة، من بلاد بني توجين، التي صارت لهم بإقطاع السلطان، فأقمته بها أربعة أعوام، متخليا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم بها... "[2].

رابعا: مرحلة التفرغ للتأليف:

عزم ابن خلدون أن يترك شؤون السياسة وينقطع للقراءة والتأليف غير أنه قد بدا لأبي حمو أن يند به للطوائف بإرجاء المملكة ليدعو له القبائل فتظاهر ابن خلدون بالقبول ، وفي عزمه ألا يعود غمار السياسة ، ولذلك لم يكد يغادر تلمسان حتى ولى وجهه شطر جهة ثانية يتاح له فيها التفرغ للقراءة والتأليف، ووقع اختياره على منازل أصدقائه بني عريف وقد أكرم هؤلاء مثواه وتوسطوا لدى السلطان

[1]- إسماعيل سراج الدين: المرجع السابق، ص 59.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص ص ، 228 – 229.

ليعفو عن مخالفته لأمره، ويقبل لحاق أسرته به ونجحوا في وساطتهم وأنزلوه مع أسرته بأحد قصورهم في " قلعة بني سلامة "[1] من بلاد توجين.[2]

أرهقته السياسة، وأنهكت قواه، وأضعفت مطامحه، وأدخلت اليأس إلى نفسه، ودفعته دفعا قويا إلى العزلة .

وصل ابن خلدون إلى تلك القلعة سنة 767هـ، وكان قد بلغ الثانية والأربعين على التاريخ الميلادي والرابعة والأربعين على التاريخ الهجري، لأن مولده كان سنة 732هـ، وحاول أن يعتزل في تلك القلعة وان ينصرف عن الحياة السياسية التي شارك فيها وتنقل في معظم دول المغرب والأندلس، متوليا أكبر المناصب حيث ، أو ملقى به في السجن حينا آخر، تتعقبه الوشاية والدسائس، وتلاحقه نظرات الحسد والضغينة، متهمة إياه بما صح وبما لم يصح من الأوصاف التي كانت تؤخذ عليه.[3]

وعلى أي حال ففي تلك القلعة كانت بداية ابن خلدون الفكرية كما ذكرنا سابقا حيث انصرف إلى التأليف والتدوين ولهذا فقد جاءت مقدمة رائعة، لأنها نابعة من تجربة واقعية، ولولا ذلك التاريخ المليء بالأحداث والنكبات لما استطاع ابن خلدون أن يدون مقدمته، ولا أن يقدم ذلك الفكر الحي المبدع الذي سبق به عصره، وتفوق به على جميع من سبقوه في ميدان الفكر.

فقد كان العصر الذي عاش فيه، عصرا اختلطت فيه الأوراق، وتعثرت فيه الخطوات وأصبح من العسير على أمثال ابن خلدون أن يعايش ذلك العصر، وأن يحني هامته أمام نكباته، لأن ذلك مما يضعف الإنسان، ويقلل من قيمته.[4]

---

[1]–قلعة بني سلامة أو ابن سلامة هذه وتسمى كذلك قلعة "تاوغزوت" تقع في مقاطعة وهران من بلاد الجزائر وتبعد نحو ستة كيلو مترات إلى الجنوب الغربي من مدينة فرندا الحالية ،انظر :ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ،ص 227

[2]- علي عبد الوافي، المرجع السابق، ص 62.

[3]- مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 78.

[4]- نفسه، ص 78.

ومن حقنا أن نتساءل الآن عن دور تلك الأحداث والنكبات السياسية التي رافقت حياة ابن خلدون من خلال تجربته السياسية في تكوين فكرة وصياغة تصوراته، ذلك أن ابن خلدون لم يكن مجرد عالم يحفظ النصوص، ثم يشرحها أو يعيد صياغتها في تأليف جديد، وإنما كان مفكرا أصيلا شارك مشاركة فعالة في إعادة صياغة العلوم الاجتماعية، وأضاف إضافات حقيقية في مجال المعرفة الإنسانية، ومن حقنا الآن أن ندرس الفكر الخلدوني كفكر متميز له خصائصه ومقوماته، وهو فكر متكامل، نجد معالمه في رؤية السياسة وفي نظرياته الاجتماعية وفي تصوراته الدينية.[1]

لا شك أن المقدمة كانت بالنسبة لابن خلدون رؤية ذاتية، وحصيلة تجربة شخصية، استطاع من خلالها أن يدون آراءه وتصوراته، محللا فكره القديم الذي تلقاه عن أساتذته، مضيف غليه تصورا جديدا، معتمدا على التجربة والواقع.[2]

كتاب المقدمة والتاريخ:

في قلعةبني سلامة بدا ابن خلدون في كتابة مؤلفه التاريخي الذي عرف بمقدمته ابن خلدون وكان يومئذ في نحو الخامسة والأربعين من عمره، قضى منها نحو ربع قرن في معارك السياسة ودسائس تحاك من وراء الستار وفي بلاط الملوك، وانتهى من كتابتها لأول مرة في منتصف سنة 779هـ وأستغرق في كتابتها خمسة أشهر فقط ثم نقحها وهذبها بعد ذلك.

وكان يريد بتلك المقدمة أن تكون مقدمة لكتابه الشهير " كتاب العبر " التي عكف على تأليفه وإعداده، معتمدا في ذلك على حفظه وذاكرته، مدونا فيه أخبار المغرب وأحوال أجياله وأممه، وذكر ممالكه ودوله، إلا أنه توسع فيما بعد، وأراد أن يكون ذلك التاريخ عاما لجميع الأمم المعروفة في عصره، ويعتبر كتاب " المقدمة " من أهم الكتب الجديرة بالدراسة والاهتمام، لأنها تتضمن أروع ما

[1] – محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 78.

[2] – نفسه، ص 78.

أنجبه مفكر في ذلك العصر في ميدان الدراسات الاجتماعية، وهو من الكتب التي أضافت الكثير إلى الفكر الإنساني.[1]

ومما لا شك فيه أننا اليوم نفخر بهذا الجهد والفكر الذي ساهم به ابن خلدون في دعم الفكر الإسلامي وفي إخصاب جوانبه الإنسانية، وفي إثراء دراسته وتوسيع دائرة اهتماماته.

وانتهى ابن خلدون من كتابه مقدمته في منتصف سنة 779هـ، واستغرق في كتابتها خمسة أشهر فقط حسب ما يذكره هو في خاتمة مقدمته إذ يقول: " قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتمت هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهذيب في مدة خمسة أشهر آخرها منتصف عم تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نقحته بعد ذلك وهذبته " ويبدي ابن خلدون دهشته وإعجابه بما وفق إليه في هذا الأمد القصير، إذ يقول: " فأقمت بها (قلعة بني سلامة) أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على النحو الغريب، الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسألت فيها شآيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زبدها، وتألفت نتائجها، " وحق له أن يبدي دهشته وإعجابه، لأن بحثا كبحثه كان خليقا أن يستغرق عدة سنين.[2]

يقول ابن خلدون:

" وتشوقت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلا بالأمصار، بعد أن أمليت الكثير من حفظي، وأردت التنقيح والتصحيح، ثم طرقني مرض أوفى بي على التنية لولا ما تدارك من لطف الله، فحدث عندي ميل إلى مراجعة السلطان أبي العباس والرحلة إلى تونس، حيث قرار أبائي ومساكنهم

[1]- محمد فاروق النبهان ، المرجع السابق ، ص 79.

[2]- علي عبد الواقي ،المرجع السابق ، ص76

وآثارهم، وقبورهم فبادرت إلى خطاب السلطان بالفيئة إلى طاعته، والمراجعة، وانتظرت فما كان غير بعيد، وإذا بخطابه وعهوده بالأمان، و الإستحثاث للقدوم، فكان الخفوف للرحلة... "[1]

رحلته إلى تونس :

كان سلطان تونس حينئذ أبا العباس الذي ذكرناه من قبل انه كان أميرا لقسنطينة ثم انتزع بجاية من يد ابن عمه الأمير أبي عبد الله وقتله، وعين ابن خلدون حاجبا له فترة قصيرة في الوظيفة التي كان يشغلها في عهد سلفه الأمير أبي عبد الله، ثم تنكر له وهم باعتقاله لولا فراره إلى بسكرة، وان ابن خلدون قد قضى أمدا طويلا في دسائس ومغامرات ضد هذا الأمير لحساب أبو حمو سلطان تلمسان، فكان لا بد إذن لابن خلدون قبل أن يشرع في الهجرة غلى تونس إن يغفر له السلطان أبو العباس ما سلف من ذنبه معه ويسمح له بالنزول في بلاده. فكتب إليه يرجوه الصفح والإذن، فرد السلطان بالقبول ودعاه إلى القدوم إلى تونس.[2]

عاد من عريف وقلعة بني سلامة متجها لمسقط رأسه تونس في شهر رجب سنة 780هـ وعليها سلطان أبي العباس وقد أكرمه السلطان وهيأ له ولأسرته مقاما طيبا في بلده تونس التي غاب عنها زمنا طويلا فلم يدخلها منذ فارقها سنة 753هـ وقد تهيأ له الجو للتدريس والتاليف فإنتهى من تأليف نسخة من كتاب (العبر) ورفعه إلى السلطان أبي العباس أحمد الحفصي في رمضان سنة 784هـ وهي ما يطلق عليه (النسخة التونسية) وقد حبا ابن خلدون السلطان أبا العباس مع إهداء الكتاب إليه بقصيدة شعرية:[3]

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق، ص 230.

[2] علي عبد الواقي، المرجع السابق، ص 76.

[3] – فردوس نور على حسين: إبن خلدون شاعرا، ص 36.

ويذكر لنا ابن خلدون هذا تحت قوله: " وتوجهت باسمه، أنشدنه ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحته وأذكر سيره وفتوحاته، وأعتذر عن انتحال الشعر، وأستعطفه بهدية الكتاب إليه وهي هذه:

هَلْ غَيْرُ بَابِك لِلْغَرِيب مُؤَمَّلٌ أَوْ عَنْ جانبك للأماني الصُّقْل

متبوأ الدُّنْيَا ومنجع الْمُنَى وَالغضيث حَيْث الْعَارِض المتهَلِل [1]

ومنها:

و إِلَيْكَ مِنْ سِيَرِ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ عِير يَدِين بِفَضْلِهَا مِن يَعْدِل

صحفنا تترجم عَنْ أَحَادِيثِ الأُلَى عَبَّرُوا فتجمل عَنْهُم وَتَفْضُل

تُبْدِي التَّتَابُع والعمالق سِرَّهَا وَثَمُود قَبْلَهُم وَعَاد الْأَوَّل

والقائمون بِمِلَّة الْإِسْلَامِ مِنْ مُضَرَ وَيُرِيَهُم إِذَا مَا حَصَّلُوا

لَخَّصْت كُتُبِ الأَوَّلِينَ لِجَمْعِهَا وَأَتَيْت أَوَّلُهَا بِمَا قَدْ أَغْفَلُوا[2]

لقد كان ابن خلدون يؤمل أن يلقى عصا الترحال في تونس، وان يستريح بعد ذلك العناء، إلا انه شعر أن حساده الكثيرين أخذوا يوغرون صدر السلطان عليه، ومع ان السلطان لم يصغ إليهم، إلا أنه خشي عاقبة هذه السعايات، فطلب منه أن يخلي سبيله لقضاء فريضة الحج، فأذن له بذلك.

وفي الأخير هكذا تنقطع المغرب الوسط في كتاب الرحلة بانعزال صاحبها في قلعة ابن سلامة وانشغاله بتأليف مصنفة التاريخ الكبير ديوان العبر بما فيه المقدمة المشهورة لمدة أربع سنوات أخرى، لينتقل بعد ذلك إلى القاهرة حتى تاريخ وفاته سنة 808هـ.

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق' ص232

[2]- نفسه، ص 234.

نتائج الفصل الثاني:

– كانت رحلة عبد الرحمان ابن خلدون للمغرب من أهم ما حدث في مشواره، حسب رأينا خاصة وأنها خالطته بالفئتين، العلماء والسلاطين فاكتسب من جراء ذلك خبرة سياسية وعلمية فريدة من نوعها، ونلمس ذلك من المرتبة الرفيعة التي كانت له عند أهل البلاط فرغم مشاركته في أحداث ضد بعضهم إلا أنه كان يلاقي العفو والإكرام.

– مر ابن خلدون بمرحلة مهمة وهي مرحلة العمل السياسي عندما عين لكتابة العلامة في عهد الوزير إبن تافراكين المشيد بأمر تونس في ذلك الحين، إلى سنة 776هـ عندما عاد من رحلته الثانية إلى الأندلس، واعتزل في قلعة بني سلامة، وفي هذه المرحلة الخصبة من تاريخه إلى عمق تجربته، وأطلعته على واقع ما كان يتاح له أن يراه، في ظل ظروف الاستقرار والهناء، كانت حياة ابن خلدون مرهقة، حزينة، بالرغم من بعض الفترات الزاهية، إلا أن ابن خلدون كان يعيش في حالة قلق نفسي دائم، وغربة مشهرة، وتطلع إلى مجد كان يحلم به حينا، ثم تساقط ذلك الحلم فجأة، مخلفا وراءه مشاعر الألم والحزن.

–عاش مدة أربع سنوات في قلعة ابن سلامة، وكان خلال هذه الفترة زاهدا في كل شيء، معتزلا الناس، منقطعا للتأليف، واستطاع أن يكتب أهم ما كتبه في حياته، ومما نستنتجه أن حالته النفسية التي كان يعيشها خلال تلك الفترة قد ساعدته على صياغة ذلك الفكر الذي أبدع فيه أجمل إبداع، وعلى واتضاح الرؤيا لديه حتى أن الأفكار إنهالت عليه متلاحقة، مكونة معالم نظريات متكاملة في الدولة والعصبية والعمران.

الفصل الثالث: رحلة ابن خلدون إلى الأندلس وعلاقته بلسان الدين ابن الخطيب

- ابن خلدون في الأندلس

:

- ابن خلدون وابن الخطيب الصداقة الفكرية و النكبة السياسية.

تمهيد:

عاصر ابن خلدون فترة تاريخية كانت من أخطر المراحل وأشدها صعوبة، ذلك أن العالم الإسلامي ابتدأ منذ القرن الخامس وما بعده في رحلة تراجع وركود وانقسام وتمزق، سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد الثقافي والفكري، وبدت معالم هذا الركود من خلال التراجعات المتتالية التي أنهت عصر الازدهار والتقدم وجعلت عالمنا الإسلامي في المغرب والأندلس خاصة يواجه تحديات قاسية استهدفت كيانه، وحاولت إنهاك قواه وإضعاف مراكزه الحضارية.

وفي هذه الفترة كانت النصرانية في بلاد الأندلس تضيق الخناق على مسلميها وتقيم تحالفات مع ملوكها بغية السيطرة عليهم وإيقاظ نار الفتنة في البلاد الإسلامية خاصة بعد سقوط دولة الموحدية وهذا ما شهده ابن خلدون وشارك في بعض الأحداث التي جرت في عصره وفي هذه الآونة جمعت ابن خلدون علاقة وطيدة مع صديقه ابن الخطيب هذا ما سننقله تفصيلا في هذا الفصل.

المبحث الأول: ابن خلدون في الأندلس:

أولا: ظروف جوازه الأندلس:

اختار ابن خلدون الرحلة إلى الأندلس بعد أن ضاقت به الحياة في المغرب الأقصى بعد الأحداث التي شهدتها قصور المرينيين من ثورات وانقلابات متتالية، بسبب ذلك الاستبداد الذي مارسه " ابن مرزوق "[1] ضد خصومه محاولا بذلك إبعاد ابن خلدون عن مجالس السلطان، ساعية بالوشاية والفتنة، خوفا من نفوذ ابن خلدون[2].

[1] – ابن مرزوق، مُحَمَّد ابن مُحَمَّد ابن مرزوق العجيمي أبو عبد الله شمس الدين فقيه، وجيه خطيب من أعيان تلمسان أثنى على إبن خلدون هو أحد تلامذة إبن خطيب أقام بمصر مدة وعاد إلى تلمسان سنة 733هـ فولى أعمالا علمية وسياسية، أنظر: الزركلي، الأعلام،ج5،، ص 328.

[2] – مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 49.

ويصف ابن خلدون ذلك " ولم يزل ابن مرزوق آخذا في سعايته بي وبأمثالي من أهل الدولة غيرة ومنافسة، إلى أن انتقض الأمر على السلطان بسببه "[1]، ويتضح لنا أن ابن مرزوق كان مسيطرا على السلطان مؤثرا فيه، يحقد على من يجد فيه الأهلية ويسخط على من لا يحني رأسه له، مما أدى إلى إثارة النقمة على السلطان واتسعت دائرة المعارضين والثائرين حتى قام الوزير عبد الله صهر السلطان بالثورة عليهن ونادى بخلعه وتعيين أخيه تاشفين سلطانا على المغرب، وحاول السلطان أبو سالم مقاومة الثورة إلا أن الوزير قد حسم الأمر لصالحه واستبد بالسلطة وقبض على أبي سالم[2].

ومن هنا نشير إلى أن ابن خلدون لا ينتمي إلى أولئك الذين يبحثون عن المنصب في أي مكان، ولا يرتضي في نفسه إلى أن يكون سيدا مصان الكرامة، لا ينحني رأسه بسهولة وهو عندما يعطي ولائه ويعلن طاعته فإنه لا يفعل ذلك إلا لمن يستحق ذلك الولاء وتلك الطاعة[3] وفي ذلك يقول ابن خلدون " وكنت أسمو بطغيان الشباب إلا أن أرفع مما كنت فيه، ثم حملني الإدلال عليه أيام سلطانه، وما ارتكبه في حقي من القصور بي عما أسمو عليه، إلى أن هجرته وقصدت عند دار السلطان مغاضبا له فتنكر لي و أقطعني جانبا من الإعراض فطلبت الرحلة "[4].

فكان لذلك يأمل أن يظفر بمناصب الدولة العليا من الحجابة أو الوزارة بيد أن الوزير لم يحقق له هذه المطامح الكبيرة، فغضب ابن خلدون واستقال من وظائفه فأعرض عنه الوزير وتنكر له، فتوجس ابن خلدون شرا منها ورغب في الارتحال عنه، ولجأ إلى الوزير مسعود بن رحو بن ماساي ليشفع له في

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان، الرحلة، المصدر السابق، ص 77.

[2] – محمد فاروق النبهان، مرجع سابق، ص 49.

[3] – نفسه، ص 49.

[4] – ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 77.

ذلك عند عمر بن عبد الله، فقصد إليه يوم عيد الفطر وأنشده قصيدة طويلة من نظمه يمدحه فيها ويهنئه بالعيد ويبثه حاجته[1].

وفي هذا يقول ابن خلدون: " واستجرت في ذلك برديفه وصديقه الوزير مسعود ابن رحو بن مساي و دخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاثة وستين فأنشدته":

هَنيئاً بِصِوم لاَ عُـــــــدَاه قَبُولُ وَبُشْرىَ بَعيدٌ أَنْتِ مِنْه مَنيلٌ

وَهنّئهاً مِن عزة وَسَـــــــعادَةٌ تَتَابَعُ أَعْوَامُ بِهَا وَفُصُولُ

سَقَى اللهُ دَهْراً أَنْتَ إنسانُ عَيْنَهُ وَلاَ مسُ رابعًا في حِمَاكِ مَحمُولٌ

ويذكر ابن خلدون القصيدة كلها وهي ثلاثون بيتا يختمها بقوله:

وإني عَزيزٌ بَابَني مَاسَاي وَمَكُثَرٌ وإنَ هَان أَنصَار وَبَانُ خَليلَهُ[2]

ثانيا: رحلته إلى الأندلس ونشاطه فيها(764 هـ – 766 هـ):

قبل أن يرحل ابن خلدون إلى الأندلس أرسل زوجته وأولاده إلى أخوالهم أولاد القائد مُحَمَّد ابن الحكيم في قسنطينة ثم قصد إلى سبتة في أوائل سنة 764هـ ونزل على الشريف أبي العباس أحمد رئيس الشورى في سبتة، فأكرم مثواه وبالغ في الحفاوة به في صورة نبيلة، يصفها ابن خلدون إذ يقول: " أنزلني بيته إزاء المسجد الجامع، وبلوت منه ما يقدر مثله من الملوك واركبني الحراقة[3] ليلة سفري مباشر دحرجتها في الماء بيده، إغرابا في الفضل والمساهمة "[4]، وجاز من سبتة إلى جبل الفتح الذي يعرف الآن بجبل طارق وجاز منه إلى غرناطة وكتب إلى السلطان عليها حينئذ مُحَمَّد بن يوسف بن إسماعيل

[1]– علي عبد الواقي ، المرجع السابق، ص 51.

[2]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 79.

[3]– الحراقة نوع من السفن الصغيرة كانت تستعمل للنزهة، أنظر: ابن خلدون عبد الرحمان ،المصدر السابق، ص 53.

[4]– علي عبد الواقي المرجع السابق، ص 53.

بن الأحمر وإلى الوزير لسان الدين ابن الخطيب، وجاء قبل أن يصل إليها في بريد واحد كتاب الخطيب يهنئه في القدوم ويؤنسه وذلك لما كان بين ابن خلدون وبين الأمير والوزير ابن الخطيب من صلة وثقة من قبل[1].

ويذكر ابن خلدون هذا على النحو التالي:

" وقد اهتز السلطان بقدوم وهيأ لي المنزل من القصور ... وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني إلى مكان نزلي ثم نظمني في علية أهل مجلسه "[2].

ولما اقترب من الأندلس وافته من وزيرها لسان الدين ابن الخطيب رسالة يهنئه فيها بقدومه[3] ويعبر بها عن شدة ابتهاجه للقياه ووضع في صدر الرسالة أبيات شعرية عن سنة من يجيد صانعي الشعر والنثر وهي:

حَلَلْتَ الغَيْثِ بالبَلَدُ المُحِلِ عَلَى الطَائِر المَيْمونِ والرُحبِ و السَّهلِ

فهو مطر يجلب الخير على المكان الذي حل فيه وعلى أهله المقيمين به.

يَمِيْنَا بمَن تَعنوُ الوجُوه لِوَجهِه مِنَ الشيخِ والطِفْلِ وَالمهْدِ والكهلِ.

[1]- فردوس نور علي حسن، المرجع السابق، ص 33.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 78.

[3]- مُحَمَّد الخضر، المرجع السابق، ص 13.

ثم في البيت الأخير يذكر شوقه للقياه فيقول:

لَقَد نَشَأَت عِنْدِي للقياك غِبْـــــطَةُ تُنْسِي اغتباطي بالشبيبة وَالْأَهْلِ

وَوِدِي لاَ يَحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِدٍ وَتقْرِيرِي المعَلُومُ ضَربٌ مِن الجَهْلِ[1].

ووصل ابن خلدون إلى غرناطة عام أربعة وستين وسبعمائة، اهتز السلطان لقدومه وهيأ له المنزلة من القصور بفرشه وماعونه، واركبه خاصته للقائه، تحفيا وبرا ومجازاة بالحسنى يمكننا الإشارة هنا أن ابن خلدون قد انشد أبيات من الشعر يعرف فيها بصديقه القديم بفاس الوزير عمر بن عبد الله يقول فيها:

مِنْ مَبْلَغِ عَنِّي الصَّحْب الأُلَى تركو وَدْيٌ وَضَاعَ حمَاهُمْ إذ أَضُونِي

إِنِّي أَوَيْت مِنْ الْعُلـــــــــيَا إلَى حَرِيمٍ كَادَت مَعَانِيه بالبشرى تُحْيِينِي

وَإِنِّي ضَاغِنًا لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُم دَهْرًا أَشَكايِ وَلَا خَصْمًا يُشَاكِينِي [2]

ولما وصلت أسرته استأذن السلطان في تلقيه، وقدم بهم على الحضرة السلطانية، وكتب له لسان الدين ابن الخطيب يبين له كيفية القدوم، وهذا نصها كما أوردها ابن خلدون:

" سيدي قدمت بالطير الميامين، على البلد الأمين واستضفت الزفاء إلى البنين ومتعت بطول السنين، وصلني البراءة المعربة عن كتب اللقاء، ودنو المزار، وذهاب البعد وقرب الدار، واستفهم عندي عما عندي في القدوم على المخدوم، والحق أن يتقدم سيدي إلى الباب الكريم في الوقت الذي يجد المجلس

[1]- المقري أحمد بن مُحَّد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1968، ج6، ص 173.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 75.

الجمهوري لم يقضي حجيجه، ولا ضوح بهيجه، ويصل الأهل بعده إلى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم، واختياره اليمن قبل اختيارهم والسلام "[1].

ثالثا: ابن خلدون سفيرا

بعد المكانة التي حظي بها ابن خلدون في الأندلس، اختصه الوزير بالعام التالي سنة 765هـ بالسفارة بينه وبين ملك قشتالة " بطرة ابن الهنشة بن أذقونش "[2] لإبرام صلح كان يزعمان إبرامه لتنظيم العلائق السياسية بينهما فسافر إلى إشبيلية وهو الموطن الأول لابن خلدون التي كان هذا الملك النصراني قد اتخذها قاعدة لقشتالة، حاملا إليه من ابن الأحمر هدية فاخرة[3].

رحب الملك بابن خلدون وسعد بلقائه وحضوره إشبيلية لدرجة انه طلب منه المكوث عنده في عرشه وان يبقى في خدمته ويسعى لدى زعماء دولته ليرد إليه تراث أسرته بإشبيلية، لمن ابن خلدون كان أذكى من أن يعتقد أن ملك قشتالة كان جادا في عرضه، فلم يقبل هذا الاقتراح[4]، وهذا ما ذكره لنا في كتابه الرحلة فيقول:

" فلقيت الطاغية بإشبيلية وعاينت أثر سلفي بها، وعاملني بالكرامة ما لا يزيد عليه، وأظهر الإغتباطة بمكاني وعلم أولوية سلفنا بإشبيلية وأثنى علي عنده طبيبه إبراهيم بن زرزر اليهودي المقدم من الطب والنجامة ... ولما قدمت أنا عليه أثنى عليا عنده، فطلب الطاغية مني حينئذ المقامة عنده وان يرد علي تراث سلفي بإشبيلية[5].

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص 76.

[2]– بطره: هو بيدرو أو بطرس المشهور بالقاسي ملك قشتالة تولى العرش بعد وفاة أبيه ألفونسو الحادي عشر سنة 1350م وقد اشتهر بصرامته وطغيانه وبطشه لذلك لقب بالقاسي، أنظر: لبن خلدون عبد الرحمان، الرحلة، ص 74.

[3]– ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، المصدر السابق،ج7، ص 190.

[4]– علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 56.

[5]– ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق، ص 75.

ويواصل حديثه فيقول:

" ... فتفاديت من ذلك بما قبله ولم يزل على اغتباطه إلى أن انصرفت عنه، فزودني وحملني، واختصني ببغلة فارهة، بمركب ثقيل ولجام ذهبيين أهديتهما إلى السلطان فأقطعني قرية البيرة من أراضي السقى بمرج غرناطة ".

أدى ابن خلدون مهمته بنجاح عاد بعدها إلى غرناطة فأكرمه السلطان قرية البيرة واستقدم أسرته من قسنطينة[1].

وعليه يشير لنا ابن خلدون عن هذه الفترة فيقول :

" ولما استقر الأمر واطمأنت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستئثار، وكثر الحنين إلى الأهل والتذكار، أمر باستقدام أهلي من مطرح اغترابهم بقسنطينة فبعث عنهم من جاء بهم إلى تلمسان وأمر قائد الأسطول بالمرية واستأذنت السلطان في تلقيهم فقدمت بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان "[2].

غير أن العلاقة فترت بين ابن خلدون وسلطان غرناطة ووزيرها ابن الخطيب وذلك أن الأعداء وأهل السعايات لم يلبثوا أن أفسدوا ما بينه وبين الوزير الذي كان حينئذ مستبدا بالدولة ومتحكما في سائر أحوالها ولم يكن ليروقه مبالغة الملك في تقريب ابن خلدون منه، فحركوا له جواد الغيرة فتنكر وأظلم الجو بينهما[3].

أخذ ابن الخطيب نفسه يسعى بابن خلدون لدى الملك وتأثر الملك بسعايته، فحدثت فجوة بين الملك نفسه وابن خلدون، فأدرك ابن خلدون انه لم يبق له مقام بغرناطة، وأنه لا مناص له من الرحيل

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص 76.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان،المصدر السابق ، ص 78.

[3]- إسماعيل سراج الدين، المرجع السابق، ص 43.

إلى الأندلس كلها، ولعل من أهم الأسباب التي شجعته على اتخاذ قرار الرحيل هو أن صديقه القديم الأمير الحفصي ابن عبد الله مُحَمَّد أمير بجاية الذي سجن ابن خلدون بسببه، في عهد السلطان أبي عنان فقد أرسل إليه رسالة يخبره فيه أنه قد استولى على بجاية واسترد ملكه، ويدعوه فيها إلى أن يحضر بجاية لكي يتولى منصب الحجابة لديه[1].

ويصف لنا ابن خلدون هذا الحدث وصفا دقيقا فيقول: " وصل الخبر لاستيلاء الأمير أبو عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان سنة خمسة وستين وكتب الأمير أبو عبد الله يستقدمني، فاعتزمت على ذلك ، وذكر السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر ذلك مني، لا بظنه لسوء ذلك، إذ لم يتطلع إلى ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب، فأمضيت العزم، ووقع منه الإسعاف والبر والألطاف ركب البحر من ساحل المرية[2].

نزل ببجاية للخامسة من الإقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية بقدومه وكان يوما مشهودا.

وهكذا ترك ابن خلدون غرناطة بصاحبه ابن خطيب مدفوعا بسببين مهمين هما شعوره بانقباض لسان الدين بن الخطيب اتجاهه ورغبته في الوصول إلى قمة السلطة بالمغرب بعيدا عن منافسة صاحبه، وبالفعل لم يكن بمقدور بلاط غرناطة أن يستوعب الرجلين وكان لا بد لأحدهما أن يترك غرناطة للآخر، ورغم نكوص العلاقة بين الطرفين إلا أن ابن خلدون وصف رحلته هذه بأنها من أسعد ما قضاه في أيام حياته[3].

[1]- مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 54.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 89.

[3]- نفسه، ص 20.

غادر ابن خلدون الأندلس بعد أن قضى فيها مدة سنتين ونصف، كان عندما دخل الأندلس يحمل في نفسه أملا عظيما واتسعت في نفسه دائرة الأمل، ونمت في أعماقه بذور الطمأنينة وحسب أن الأندلس سوف تحتضن غربته، وسوف تزيل وحشته وستفتح له آفاق كان يتطلع إليها ويحلم بها.

وحسب رأي ابن خلدون أن غرناطة التي فتحت له قلبه واحتضنت كبريائه الذي أذلته الغربة القاسية سوف يكون بالنسبة إليه السلطان الذي ترك إليه نفسه وطمئن به هواجسه[1].

ومن خلال ما تطرقنا إليه وتمحصنا فيه يتبين لنا أن ابن خلدون لم يكن يبحث عن المناصب الكبيرة في قصر من قصور الملوك والأمراء، وإنما كان يبحث عن قلب كبير يجد فيه غربته، ويبحث عن وطن يمنحه الحب والولاء[2].

ولكن تغير كل شيء ومات الأمل، وحزن ابن خلدون وتطلع من جديد عبر البحر، يرقب أمواجه المتلاطمة لقد أدرك ابن خلدون أنه لم يبق له مقام بغرناطة وأنه لا مناص له من الرحيل عن الأندلس كلها، ونزل في ضيافة صديقه القديم الأمير أبي عبد الله مُحَمَّد الحفصي أمير بجاية في المغرب الأوسط بعد أن استرد الأمير ملكه، واستدعى ابن خلدون لكي يكرمه في بجاية ولكي يسند إليه ما هو جدير به من المسؤولية وبذلك يكون قد قضى في الأندلس نحو سنتين ونصف[3].

رابعا: عبوره الثاني إلى الأندلس:

قبل التطرق إلى العبور الثاني للأندلس يجب أن نذكر بشيء من الإيجاز عن الأحوال السياسية بين بلاط فاس وغرناطة، دون أن ننسى ابن خلدون قد أقام في فاس بعد بسكرة وفي ذلك الحين ساءت العلائق بين بلاط فاس وبلاط غرناطة وكان الوزير ابن الخطيب قد التجأ كما قدمنا إلى بني مرين

[1]–مُحَمَّد فاروق النبهان ، المرجع السابق ، ص 54

[2]– نفسه ، ص54

[3]– علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ،ض 57

فطلب سلطان الأندلس مُحَمَّد بن الأحمر إلى بلاط فاس إبعاده وتشريده، فأبى الوزير ابن غازي، ونشب بين الفريقين معارك طاحنة بقرب مكناسة[1].

بعد وقوع هذا الانقلاب وشى بعضهم في حقه للحكومة الجديدة، فقبض عليه حينا ثم أفرج عنه صديقه الأمير عبد الرحمان سلطان سلطان الشمال.

مل ابن خلدون السياسة وسئم من تقلباتها فرأى أن ينشد لنفسه الراحة والاستقرار في إجازته الثانية إلى الأندلس سنة 776 هـ / 1370 م بعد أن أغلقت في وجهه قصور المغرب كلها، ويقول لنا ابن خلدون أنه أراد اللحاق بالأندلس طالبا الاستقرار والدرس والظاهر أن فكرة الانقطاع عن البحث والتأليف كانت قد اختمرت في ذهنه يومئذ، وقد رأيناها تساوره مرارا منذ اضطراب شؤون السياسة أفق المغرب[2].

وعند إجازته إلى الأندلس، لقيه السلطان ابن الأحمر بالبركة والكرامة وكان وزيره أبو عبد الله ابن زمرك[3]، وكان قد توجه إلى فاس في غرض التهنئة، وصل فاس وتحدث مع أهل الدولة في شأن ابن خلدون فساءهم استقراره بالأندلس ووفد إلى غرناطة مسعود بن ماساي في حضرة فاس وأبلغ السلطان بإغراء من رجال دولتها أن ابن خلدون كان يبذل مساعيه وجاهه في خلاص لسان الدين[4]

انقلب عطف السلطان عليه جفاءا وأنسه به، ومن هذه الحادثة نستنتج أن بين عودته من الأندلس الأولى فنجد أن سلطان غرناطة رحب به وحزن لفراقه متوجها إلى بجاية التي كانت متأهبة باستقباله ما يتصور من مظاهر الاحتفاء، أما في الرحلة الثانية فكانت عكس الأولى، فهذه دولة الأندلس تنفيه

[1]- علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ،ص 57

[2]- حسين مُحَمَّد الخضر، المرجع السابق، ص 20.

[3]- ابن زمرك: هو مُحَمَّد بن يوسف بن أحمد بن مُحَمَّد بن يوسف الصريحي، يعرف بابن زمرك ولد بغرناطة ونشأ بها، أنظر: الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص 154.

[4]- حسين مُحَمَّد الخضر، المرجع السابق، ص 21.

من أراضيها فخرج وهو لا يدري أين يلقي عصا التسيار فقد ذاق من صروف السياسة عذاب الهوان فما كان إلا أن تجرد للقراءة ولم يشغل وقته سوى المذاكرة في العلم والدراسة[1] .

وهكذا لم يكد ابن خلدون في رحلته هذه إلى الأندلس ولم يسلم حتى ودع.

المبحث الثاني :ابن خلدون وابن الخطيب الصداقة الفكرية و النكبة السياسية.

لقد شهد ابن خلدون وابن الخطيب الكثير من العلائق سواء كانت مع سلاطين أو وزراء وغيرهم كانوا من المغرب أو الأندلس، منها من كانت على حياته نعمة ومنها من كانت على حياته نقمة وقد ارتأينا في هذا المبحث في دراسة لعلاقته بابن الخطيب.

أولا: علاقته بلسان الدين ابن الخطيب.

لطالما سمع كل من ابن خلدون وابن الخطيب عن فضل بعضهم البعض وكان كل منهما يتوق للقاء الآخر وذلك ناتج عن ما تقلده كل منهما في المشاركة ،فكما قام ابن الخطيب في النبوغ ف التفكير و الكتابة و الوزارة في الأندلس، قام ابن خلدون بذلك في المغرب .[2]

ولم يكن ابن خلدون و ابن الخطيب رجلا سياسيا في بداء الأمر ،بل كان اهتمامها منصبا حول شؤون التاريخ والتفكير والعلم والأدب ،وبسبب ضلوع باعيهما الثقافي انخرطا في الحياة السياسية التي كانت تشهد بوجود مثقفين داخل مفاصل الدولة ،رغم أن الأصول التي ينتمي إليها كل منهما تشهد بانخراط آباءهما وأجدادهما في معترك السياسة.

أن اللقاءات الكثيرة التي جمعت بين الشخصيتين ساعدت في توطيد علاقتهما مع مرور الزمن حتى أصبحت الصحبة بينهما تتحدى سائر عوامل تفرقة والاختلاف ،حتى صار كل منهما يعرف الآخر

[1]- حسين محمّد الخضر، المرجع السابق ، ص ص 23 – 24.

[2]-ابن الخطيب ،المصدر السابق،ص27.

حق المعرفة في أحواله وشموله ومؤلفاته حتى أن ابن خلدون لخص أرجوزة أصول الفقه لابن الخطيب ،بحسب ما يقول ابن الخطيب ذاته: "شرع في هذه الأيام في شرح الرجز الصادر عني في أصول الفقه بشيء لا غاية له وراء الكمال "[1]

فقد شاءت الأقدار أن يلتقي في هذا القرن الثامن هجري – الرابع ميلادي الرحالين المهمين التي جمعت بينهما طائفة من المشبهات القومية ،سواء فيما خاضه كل منهما في حياته، أو فيما خلفه كل منهما في تراث غزير ومنوع ،أو فيما كان يتبوأ كل منهما من ما كان بارز في عالم التفكير ولأدب .

اللقاء الذي جمع بينهما لأول مرة يعود إلى محنة ابن الخطيب وسلطانه الغني بالله سنة 761هـ حيث التقى الشخصيتين في الحفل الذي قام به السلطان المريني أبي سالم ترحيبا بالسلطان المخلوع ووزيره[2].

ففي بادئ الأمر كانت العلاقة بينهما روابط حب وصداقة وإعجاب واحترام متبادل إلا أن سرعان ما فرقت بينهما عوامل الغيرة والتنافس ،ورغم ذلك بقيا كل منهما يكن الاحترام لصاحبه كما قام كل منهما بإيراد ترجمة لصاحبه[3]،كان ابن الخطيب يكبر صديقه ابن خلدون بنحو عشرين سنة، وهذه المدة تجعله في مرتبة والده ،وقد أظهر كل منهما هذا الفارق الزمني في رسائله ،فابن خلدون يخاطب صديقه فيقول له :"سيدي مجدا وعلوا ومحل والدي برا وحنوا " فيجيبه ابن الخطيب في قوله :"سيدي ووالي وأخي ،ومحل ولدي "[4].

إن عبارات من هذا القبيل ،سيدي وأخي ومحل ولدي ،إضافة الشوق الكبير الذي عبر عنه ابن الخطيب بعبارات دالة ،كلها تبرز حجم المكانة التي كانت لابن خلدون في نفس صديقه ابن الخطيب

[1]– ابن الخطيب ،المصدر السابق ، ص507.

[2]–عبد المجيد سالم ،ابن خلدون، مجلة عالم الفكر الإسلامي ،العدد 11،السنة الثامنة ،بيروت ،دار الفتوى ،1399هـ-1979م،ص49.

[3]–المقري ،نفح الطيب ،المصدر السابق ،ص96.

[4]–ابن الخطيب ،الإحاطة ،المصدر السابق ،ص27.

،وتدل على عنق الرابطة الأخوية التي جمعتهما[1]، بصرف النظر عن البعد الجغرافي والاختلاف في المواقع والمهام وعلى الرغم من فارق السن ،فجمعت بينهم مشابهات عديدة فقد كان كل منهما أستاذا عصره في التفكير والكتابة وكان كلاهما شخصية بارزة في حوادث عصره وقد ترجم منهما للآخر وذكره بما ينم عن خالص التقدير والإجلال.[2]

وفي ترجمة ابن خلدون لابن الخطيب يقول :"كان ابن الخطيب أية من آيات الله في النثر والنظم ،والمعارف ،والأدب ،ولا يسالم مداه، ولا يهتدي فيهما بمثل هداه"[3].

ويشيد ابن الخطيب أيضا بابن خلدون ويصفه بأنه" حجم الفضائل، باهر الخصال ،رفيع القدر، ظاهر الحياء ،أصيل المجد ،وقور المجلس ،عالي الهمة ...كثير الحفظ ،أن نافست أرباب الرتب العالية فاعتبر ما نلت من رؤى الحكمة ،وأن نافست أرباب الذمم فالمعارف هي وفور الذمة وانفق ،في سوق السياسة صرفها من المهمة ،ولا تغفل ملاحة الأمور المهمة..."[4].

كان ابن خلدون يعمل على خدمة ابن الخطيب ومرافقة عند لجوءه الأول إلى المغرب إذ يقول ابن خلدون في كتابة التعريف :"وحين وفد سلطان الأندلس على السلطان أبي سالم المريني ،وأقام عنده ،وحصلت لي معه وسيلة خدمة ،من جهة وزيره ابن الخطيب ،وما كان بين وبينهم من الصحابة فكنت أقوم بخدمته واعمل في قضاء حاجته في الدولة"[5].

هنا ندرك أن فترة مكوث ابن الخطيب الأولى في فاس كان مصاحبا لابن خلدون والتي كانت تربطها ما علاقة حميمية ملئها الاحترام والتقدير .

---

[1]–ابن خلدون ،المصدر السابق،ص،ص70–108

[2]–عبد الله عنان ، ابن خلدون وابن الخطيب ،مجلة العربي،العدد85،الكويت ،وزارة الإعلام ،1385هـ،6965م،ص21.

[3]–ابن خلدون عبد الرحمن ،المصدر السابق ،ص15

[4]– نفسه، ص 18.

[5]– نفسه، ص ص 70 – 79.

أما اللقاء الثاني الذي جمع بين الرجلين فقد كان في غرناطة ،وذلك بعد أن فقد ابن خلدون مكانته في المغرب فارتحل إلى الأندلس في الثامن من ربيع الأول عام 764هـ،حيث أكرمه ابن الخطيب وأغدق عليه عطفه ،إلا انه سرعان ما فرقت بيتهما عوامل الغيرة والتنافس ،وذلك بسبب الحظوة التي حصي بها ابن خلدون في الأندلس وهي أمور من الطبيعي أن تثير الغيرة في قلب ابن الخطيب إلا أن ابن خلدون يرد ذلك إلى أطراف أخرى قامت بزرع الفتنة بينها ما أدى إلى ملبسات ابن الخطيب للسلطان وتحريضه على ابن خلدون[1].

أما ابن خلدون هو الآخر يكن الاحترام لابن الخطيب والثقة في مؤلفاته حتى أنه رما خصوم ابن الخطيب وأسباب محنته بالسفهاء[2].

ثانيا: الرسائل المتبادلة بين ابن الخطيب وصديقه ابن خلدون.

لا تقل الرسائل الفكرية المتبادلة بين المثقفين والعلماء أهمية عن مؤلفاتهم التي أنتجوها، والثقافة الإنسانية حافلة بالكثير من هذه الرسائل التي ساهمت في إيضاح بعض الإشكاليات المرتبطة بالزمن والمكان والبيئة التي احتضنت أصحابها، وأضاءت الكثير من الثغور المظلمة في حياتهم؛ فهي وسيلة فردية اعتمد عليها المفكرين والأدباء والساسة، لإبلاغ مشاعرهم ومواقفهم وأفكارهم وحتى قراراتهم وأهدافهم، ولنا في ذلك شواهد كثيرة من المراسلات التي دارت بين ثلة من المفكرين نذكر منها مراسلات ابن خلدون وابن الخطيب.

إن سوء الضن الذي حدث بين ابن خلدون وابن الخطيب لم يترك أثرا في صداقة الرجلين فقد استمرت صافية تؤكدها الرسائل الأخوية العديدة التي تبادلاها بعد ذلك عن طريق الحجاج، أو

[1]- علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص 28.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 92.

السفراء المتجهين من غرناطة إلى المشرق عبير المغرب، أو العائدين من المشرق إلى غرناطة من الطريق نفسها[1].

رسالة شوق وعتاب من ابن الخطيب لابن خلدون:

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: " وصلني مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبي عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوق إلي "[2]:

بَنَفْسِي وَمَا نَفْسِي عَلَيَّ بِهَيْنَةٍ فَيُنْزِلُنِي عَنْهَا الْمِكَاسُ بِأَثْمَانِ

حَبِيبٌ نَأَى عَنِّي وَصَـــــــمَّ لأَنَّتِيوَرَاشَ سِهَامَ الْبَيْنِ عَمْداً فَأَصْمانِي

وَقَدْ كَـــــــانَ هَمُّ الشَّــيْبِ لاَ كَانَ كَافِياً فَقَدْ أَدنَى لَمَّا تَرَحَّلَ هَمَّانِ

شَـــــرَعْتُ لَهُ مِنْ دَمْــعِ عَيْنَي مَوْرِداَ فَكَدَّرَ شُرْبِي بِالْفِرَاقِ وَأَظْمَانِي

وَأَرْعَيْتُهُ مِنْ حُسْنِ عَهْدِي جَمِيمَهُ فَأَجْدَبَ آمَالِي وَأَوْحَشَ أَزْمَانِي

حَلَفْتُ عَلَى مَـــــا عِنْدَهُ لِي مِنْ رِضىً قِيَاساً بِمَا عِنْدِي فَأَحْنَثَ أَيْمَانِي

وَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِـــنْ قِلىً لأَشْتَاقُ مِنْ لُقْيَاهُ نُغْبَةَ ظَمْآنِ

سَأَلْتُ جُفُونِي فِيهِ تَقْـــرِيبَ عَرْشِهِ فَقِستُ بِجِنِّ الشَّوْقِ جِنَّ سُلَيْمَانِ[3]

في قلب ابن الخطيب شوق وحسرة على بعد وألم الفراق والاغتراب، وفي رسالة أخرى كتبها له كذلك

[1]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 128.

[2]- نفسه، ص112

[3]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص ص 112 – 113.

في نص فيقول: " يا سيدي إجلالا واعتدادا، وأخي ودا واعتقادا، ومحل ولدي سكنت مني فؤادا طال علي انقطاع أنبائك، واختفاء أخبارك فرجوت أن تبلغ النية هذا المكتوب إليك وتخترق به الموانع دونك، وإن كنت في مباثتك كالعاطش الذي لا يروى، والآكل الذي لا يشبع، شأن من تجاوز الحدود الطبيعية والعوائد المألوفة[1].

ومن هنا نلاحظ أن ابن الخطيب كان يكن كل الاحترام والحب لابن خلدون فالعبارات الواردة كلها توضح ذلك وتدل على عمق الرابطة الأخوية التي جمعتهما، وابن خلدون نفسه يرد على صاحبه بعبارات تبرز الإجلال الكبير الذي يجله، إذ يقول: " فأجبته عن هذه المخاطبات، وتفاديت من السجع خشية القصور عن مساجلته، فلم يكن شاءه يلحق، ونص الجواب: سيدي مجدا وعلوا، وواحد ذخرا مرجوا، ومحل والدي برا وحنوا، مازال الشوق منذ ناءت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي آباءك، ويخيل إلي من أيدي الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع[2].

إن هذه العبارة التي رد بها ابن خلدون على رسالة صديقه ابن الخطيب، تدل عن علو شأن ابن الخطيب لدى صاحبه، ونفهم منها كذلك سبب ورود عبارة " محل ولدي " لابن الخطيب وعبارة " محل والدي " لابن خلدون، إذ كان لسان الدين ابن الخطيب أكبر من ابن خلدون مما يقارب عقدين من الزمن[3].

إن القارئ لهذه الرسائل يستنتج أن أواصر العلاقة بين الرجلين كانت تتجاوز حدود الصداقة بين المؤرخين العالميين تبادل الأخبار ويقتفيان الآثار، بل كانت صداقتهما حميمية تهتم بالأحوال الشخصية قبل المسائل الفكرية، وإن كان كل منهما يجل الآخر لمكانته العلمية والأدبية.

[1]- أحمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 88.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 123.

[3]- نفسه، ص 123.

أما المسائل العلمية، فكان لها نصيب في هذه المخاطبات، التي دارت بين ابن خلدون وابن الخطيب فنجدها من حين إلى آخر يخبران بعضهما بتأليف كتاب جديد أو الانشغال بالتأليف، كما يخبرنا ابن الخطيب في هذا القول: " آخر ما صدر عني كناش سميته باستنزال اللطف الموجود في أواصر الوجود، أمليت في هذه الأيام التي أقيم بها رسم النيابة عن السلطان في سفره إلى الجهاد، بودي لو وقفتم عليه، وعلى كتاب في المحبة وعسى الله أن ييسر ذلك[1].

ثالثا: محنة ابن الخطيب وموقف ابن خلدون:

استمرت العلاقة طيبة إلى أن حلت المحنة بابن الخطيب وفر هاربا إلى المغرب 773 هـ – 1371 م ملتجأ إلى السلطان المغربي بسبب السعايات ضده لدى سلطانه وانتهاج ابن الخطيب سياسة الإرتباط بسياسة المغرب وابن خلدون المطلع على سياسة صديقه لسان الدين، وعلى نواياه، أشار إلى ذلك بصراحة قائلا[2]: " وكانت عينه ابن الخطيب ممتدة إلى المغرب وسكناه، فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عن ملوكه "[3]، ومن هنا نستنتج أن ابن الخطيب كان يسعى لإنجاح الوحدة المغربية الكبرى وقد أكد ابن خلدون أن صديقه ابن الخطيب لم يقف عند حدود الرغبة في توحيد القطرين، إذ كان قد طلب من سلطان المغرب بضرورة الاستيلاء على الأندلس، و وافقه الرأي الذي لم يلق لبلاط غرناطة مما أدى إلى قطيعة بين ابن الخطيب وبين بني الأحمر[4].

فساءت الأحوال بين بني الأحمر وبين بني مرين فقام بنو الأحمر بفتنة في المغرب وجاء ابن زمرك إلى فاس يطالب أبا العباس أحمد المستنصر ابن إبراهيم بثمن الوصول إلى العرش على ما كان قد جرى

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق ، ص ص 128 – 129.

[2]– المقري أحمد ابن محمّد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: محمّد الصفا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358 هـ – 1939 م، ص 230.

[3]– نبيل الخطيب، المرجع السابق، ص 51.

[4]– ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 272.

الاتفاق بشأن لسان الدين[1]، واستدعى ابن الخطيب لمناقشة ومواجهة التهم المنسوبة إليه والمتمثلة في الإلحاد والزندقة إسنادا إلى ما ورد في بعض آرائه وردت في كتاب " روضة التعريف بالحب الشريف "[2] فحكم عليه بالسجن.

وعن اعتقال لسان الدين ابن الخطيب قال ابن خلدون: " ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين وسبعة مائة، فاستقل بسلطانه الوزير مُحَمَّد ابن عثمان مستبد عليه، وسليمان بن داوود رديفا له، وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما بويع بطنجة على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه لما نما إليه عنه أنه كان يغري السلطان عبد العزيز ملك الأندلس، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقي الوزير أبا بكر بن غازي بساحة البلد الجديد، فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار، أوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استوفى السلطان على البلد الجديد أقام أياما، ثم أغراه سليمان ابن داوود بالقبض عليه، فقبضوا عليه وأودعوه السجن ... "[3]

وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بعث كاتبه ووزيره أبو عبد الله ابن زمرك، فقدم على السلطان أبي العباس، وأحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة وعرض بعض الكلمات في كتابه المحبة، فعظم النكير فيها، فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب أمام الملأ، ثم نقل إلى سجنه[4].

أما لسان الدين فكان في سجنه يبحث عن أصدقائه المخلصين ليستنجد بهم، فلم يجد أمامه سوى ابن خلدون الذي لم يتردد في العمل على إنقاذ صديقه، وقد أكد هو بنفسه هذا الكلام فيقول: "

[1]- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1983، ط1، ج6، ص 555.
[2]- ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص 42.
[3]- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 472.
[4]- المقري، المصدر السابق، ص 230.

وبعث ابن الخطيب من محبسه مستصرخا بي ومتوسلا "[1]، وبقي فيه أياما قليلة، لكن بعض القتلة طرقوا باب السجن وخنقوه وكان ذلك سنة 776 هـ.

- تأثر ابن خلدون لمقتل صديقه لسان الدين ابن الخطيب تأثرا بالغا، فقد ترك في نفسه أعمق الأثر، ليس لأن ابن الخطيب كان بريئا مما ينسب إليه ولا لأنه كان أفضل من غيره خلقا وثباتا، ولكن لأن ابن الخطيب كان يمثل ظاهرة بالنسبة لعصره وكانت محنته قاسية لأنها تمثل أيضا أخلاقيات ذلك العصر وتقلباته[2].

وأظن أن ابن خلدون كان طامحا بالمناصب السياسية في بداية حياته لم يعد كذلك فيما بعد، فقد بدأ يبحث عن العزلة، ويتطلع إليها كما كان يتطلع إلى السياسة من قبل، ولم يكن من اليسير عليه أن يخرج من دائرة الضوء في الوقت الذي كانت الأضواء مسلطة عليه تخشى من حركته، وتتابعه بدقة، وكأنها تتوقع منه خطرا يمكن أن يغرق به خصومه، ولعل من أهم نكباته أثرا في نفسه تلك النكبة الكبيرة التي مني بها بعد عودته من الأندلس إلى بجاية[3]، أي أن ابن خلدون الرجل الفذ السياسي أصبح يفضل العزلة والابتعاد عن كل ماله علاقة بالسلطة نظرا لما حدث لصديقه.

ففضل الاعتزال والانطواء عن الحياة العامة كليا مدة أربع سنوات من 776 هـ – 780 هـ، قضاها في قلعة " تاوغروت " أو قلعة بني سلامة بالمغرب الأوسط للكتابة والتدوين، وفي هذا يقول ابن خلدون: " ... وأنزلوني بأهلي في قلعة بني سلامة من بلاد بني توجين، فأقمت بها أربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة ... "[4].

[1]- نبيل الخطيب، المرجع السابق، ص 104.

[2]- فردوس نور علي حسين، المرجع السابق، ص 77.

[3]- مُحَمَّد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص 66.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمان، الرحلة، المصدر السابق، ص 187.

وفاة ابن خلدون:

كانت وفاة ابن خلدون رحمه الله بعد رحلة طويلة في 26 من رمضان سنة (808) الموافق ل (16 مارس 1406) عن ستة وسبعين عاما، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر في اتجاه الريدانية (العباسية الآن)[1].

ومن خلال هذه الإضاءة عن حياة ابن خلدون يمكن القول: "أن مسرح حياة ابن خلدون ونشاطه لم ينحصر بمسقط رأسه بتونس، ومثوى رفاته القاهرة بل شمل معظم أقطار العالم العربي المترامي الأطراف، فقد قضى ابن خلدون أربعا وعشرين سنة من حياته في تونس وست وثلاثين سنة منها في المغرب الأوسط والأقصى والأندلس أربعة وعشرين سنة منها في مصر والشام والحجاز[2]

لذلك فإن ظروف حياته قد صقلت موهبته وأسهمت في اتساع مداركه وكانت من أهم العوامل التي أثارت تأملاته، ووجهت نظرياته، عندما أقدم على تدوين وكتابة أشهر آثاره.

[1]- ريدان جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة حياة، د.م، ج3، ص 224.

[2]- البعاني سامية حسين، ابن خلدون مبدعا قراءة جديدة لفكره ومنهجه في علم الاجتماع، مجلس الإعلام للثقافة، القاهرة 2006، ص 114.

نتائج الفصل الثالث:

كان نشاط ابن خلدون متعدد الجوانب، فقد شمل ميادين الإدارة والسياسة والخطابة والقضاء والدرس والتدريس والتأليف، وكانت حياته صاخبة لا تعرف معنى الهدوء ولا تبالي بالأخطار والأهوال، لذلك صارت حياته سلسلة طويلة من حوادث النجاح والفشل، فقد تقلد منصب عالي في الأندلس وذلك لما كان يكسبه من حنكة وخبرة سياسية، فقد قام بالسفارة إلى ملك قشتالة وأدى مهمته بنجاح وكانت له علاقات وطيدة مع رجال وساسة كبار من أبرزهم الوزير لسان الدين ابن الخطيب الذي كان يكن له الحب الصداقة، فجمعت بينهما رسائل الود والأخوة لكن على الرغم من قوة وصلابة صداقة ابن خلدون لابن الخطيب إلا أن هذه الصحبة عاشت بعض النكوص، فبعد أن حصل القرب بين ابن خلدون والسلطان أبي سالم وأمراءه نشبت ضغينة حفينة بينه وبين الوزير ابن الخطيب بسبب المكانة التي أصبحت لابن خلدون.

خـاتمة

خاتمة:

وفي الأخير وبعد تحليل عناصر الإشكالية والأفكار الأساسية التي عالجها الموضوع عبر مختلف مراحل هذه الدراسة يمكن أن نسجل جملة من الاستنتاجات التي نوجزها في النقاط التالية:

_ابن خلدون عربي الأصل، عريق النسب تقلد العديد من الوظائف له ولأسرته.

_لقد كان ابن خلدون تجسيداً في شخصيته لوحدة علمية وثقافية شملت العالم العربي الإسلامي.

_تميز ابن خلدون بالنبوغ والذكاء، حيث ظهر ذلك عليه وهو صغير فحفظ القرآن الكريم بقراءته وكذلك في السنة واللغة والتاريخ.

_أن ابن خلدون غاص غمار الأحوال السياسية المضطربة في بلاد المغرب، وفي دولة الحفصين في تونس ودولة بني عبد الواد في تلمسان ومع بني مرين في فاس وهنا اتصل ابن خلدون بالوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب عندما نفي مع سلطانه إلى المغرب وهنا توطدت بينهما صداقة قوية.

_عمل ابن خلدون بالأندلس في دولة بني الأحمر في غرناطة، وسافر بعدها إلى إسبانيا في مهمة رسمية تمثلت في توطيد صلح بين ملكه وملك قشتالة ، الذي كان مقيم في إشبيلية مقر أجداد ابن خلدون.

_ساهمت الرحلات العلمية لابن خلدون في صقل شخصيته العلمية بأن يكون عالما فذاً في تاريخ الإسلام.

_أثرت الأحداث المؤلمة على نفسية ابن خلدون جعلته يمل السياسة والحياة العامة، ويفضل الاعتزال والتفرغ للعلم.

_لم تكن حياته صراعاً كلها، إنما سادتها فترات من الراحة النفسية والاستقرار الحياتي، يسرت له سبيل التفكير الهادئ والتأمل العميق فحصل واستوعب ثم ألف.

ـ مما يمتاز به ابن خلدون انه كان حاد الذكاء ، ولعل ذكائه الحاد هو الذي جعله يواجه تلك الأحداث بشجاعة يتقدم ويتراجع في الوقت المناسب .

ـمن أهم النكبات التي أثرت في نفسه مقتل صديقه ابن الخطيب ، والنكبة التي منى بها بعد عودته من الأندلس إلى بجاية تركت في نفسه جرحا عميقا ودفعته دفعا قويا لكي يعيد النظر في مطامحه السياسية ، فابن خلدون بعد تلك النكبة لم يعد هو نفسه الذي عرفناه من قبل .

ـ ومما توصلنا إليه من خلال الاستقراء والفحص ؛هي تلك السياقات التاريخية في مختلف بلاد المغرب بعدوتيه الأندلسية والمغربية .

ـ بعض التفاصيل في العلاقات بين الدويلات في بلاد المغرب من خلال تنقلاته ومشاركته في العديد من الآراء .

ـ وما تحدث عنه خلال الأزمات و المواجهات وهي تفاصيل لم تحتويها بعض المصادر .

ـ وما حدث في الأندلس واضطرابه ببني نصر وعلاقاتهم بالدويلات .

ـوأخيراً فإن مقدمة ابن خلدون تعتبر من خير ما كتب في علوم الإنسان في العصر الذي كتبت فيه،ممثلة لأدق النظريات العلمية الاجتماعية والتاريخية والفكرية بمعنى آخر هي خير دليل لمن أراد الإطلاع على أحوال المعرفة في عصر ابن خلدون،وذلك سر بقائها بقيمتها الفكرية حتى عصرنا الحالي.

آفاق البحث :

ومن رأينا المتواضع ونحن في بداية طريق البحث العلمي وبعد دراسة متأنية له ؛ استوقفتنا نقطة مهمة يمكن عدها آفاقا للبحث ،ألا وهي "بين ابن خلدون وابن الخطيب الصداقة الفكرية والنكبة السياسية"، في هذا المقام يجب الكشف عن خبايا العلاقة الوطيدة التي جمعت ابن خلدون مع

صديقه الوزير ابن الخطيب ، وعن الجو السياسي والاجتماعي الذي عاصراه والعلاقة التي جمعتهما مع هؤلاء الأمراء داخل الأقطار المغربية والأندلسية .

صداقة ابن خلدون وابن الخطيب لم تكن من نوع صداقات المصلحة القائمة على النفع المتبادل بل هي صداقة تحاكي نوع الصداقة الفاضلة ولعل الفضيلة التي يتشارك فيها الاثنين معا هي فضيلة المعرفة و التي هي أرقى الفضائل. إذا يبقى السؤال مطروح كيف لعلاقة فكرية وطيدة كهذه أن تتحول إلى نكبة سياسية ، وما الدافع وراء ذلك ؟...

وقبل أن نختم نلتمس العذر عن كل خطأٍ أو سهو أو تقصير ، ونأمل أن نتمم نقائص هذه الدراسة بالتوسع فيها في مستقبل الأيام.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه وتجاوز عنا في كل خطأٍ أو زلل.

الملاحـــق

الملحق رقم01: قصيدة شعرية من لسان الدين الخطيب إلى ابن خلدون[1]:

نَفْســـــــي وَما نفْسي عَلىَّ بَهيْنَة ... فيُنْزلَني عَنها المكاسُ بأثمانٍ

حَـــــــبيبٌ نَأَى عنِّي وصُـــــــم ... لأنَّتي وراش سِهَام الْبَيّن عَمْدًا

وَقَدْ كَانَ هَمَّ الشَّيْب لَا كَانَ كَافِيًا ... فَقَد أدني لِمَا تَرْحَل هَمَّان

شُــرِعَتْ لَهُ مِنْ دَمْعِي عَيْنَىّ مواردا ... فكدر شربى بِالْفِرَاق وأظمانى

وأرعيته مِنْ حُسْـــنِ عَهْدِي جميمه ... أَجْدَب آمالى وَأَوْحَش أزماني

حَلَفْت عَلَى ماعنده لِى مَنْ رَضـِىَ ... قِيَاسًا بِمَا عِنْدِي فأحنث إِيمانِي

وَإِنِّي عَلَى مـــــانلني مِنْهُ مِنْ قَلَى ... لأشتاق مِن لَقِيَاه نَغْبَة ظَمْآن

سَـــأَلْت جُنُونِي فِيه تَقْرِيبٌ عَرْشِه ... فقست بَجَّن الشَّوْق جُنّ سُلَيْمَان

إِذَا مَا دَعَا دَاعٍ مِنْ الْقَـــوْمِ بِاسْمِه ... وَثَبَت وَمَا أَسْتَثْبِت شِيَمِه هَيْمان

وَتَاللَّهِ مَا أصـــــــــغيت فِيه لعاذل ... تحاميته حَتَّى اِرْعَوَى وتحاماني

وَلَا اسْتَشْعَرَت نَفْسِي بِرَحْمَة عَابِد ... تَظَلَّل يَوْمًا مِثْلَه عَبْد رَحْمَان

وَلَا شَعَرْت مَنْ قَبْلَهُ بتشوق ... ت ـَخَلَّل مِنْهَا بَيْنَ رَوْحٌ وجثمان

[1]ابن خلدون عبد الرحمن: الرحلة، المصدر السابق، ص104

الملحق رقم(02)[1]:

رسالة لابن الخطيب يرحب فيها بمقدم ابن خلدون إلى الأندلس

لمزاء المسجد الجامع ، وبَلَوْت منه ما لا يُقدَّر مثلُه من الملوك ، وأركبنى الحرّاقة(١) ليلةَ سفرى ؛ يُباشر دَحرَجتَها إلى الماء بيده ، إغرابًا فى الفَضْل والمُساهَمة ، وحَطَطتُ بجَبل الفَتح(٢) ، وهو يومئذ لصاحِب المغرب ، ثم خَرجتُ منه إلى غَرناطة ، وكتبتُ إلى السلطان ابن الأحْمَر ووزيره ابن الخطيب بشأنى ، وليلةَ بِتُّ بقرب غَرناطة على بَريدٍ(٣) منها ، لقِيَنى كتابُ ابن الخطيب يُهَنِّئنى بالقدوم ، ويؤنسُنى ، ونصُّه :

حَلَلتَ حُلولَ الغيْث بالبلَد المَحْلِ ... على الطائر الميْمون والرَّحب والسَّهْلِ
يَمينًا بمن تَعْنُو الوجوه لوَجْهِه ... من الشَّيْخ والطفل المُهدَّإ(٤) والكَهْلِ
لقد نشأت عِندى للُقياك غِبطَةٌ ... تنَسِّى اغْتباطِى بالشَّبيبَة والأَهْلِ
[ووُدِّىَ لا يُحتاجُ فيه لشاهِد ... وتَقريرىَ المعلومَ ضربٌ من الجَهلِ]

أقسمتُ بمن حجَّت قُريشٌ لبَيته ، وقبْر صُرِفَتْ أزِمّة الأحْياء لمَيْته(٥) ، ونُورٍ ضُرِبت الأمثالُ بمِشكاته وزَيته(٦) ، لَو خُيِّرتُ أيها الحَبيب الذى زِيارَتُه

[1] – ابن خلدون عبد الرحمان ، المصدر السابق ، ص 80.

الأُمنِيَّة السنيَّة ، والعارِفة الوارِفة[1] ، واللَّطيفة المُطيفة ، بين رَجْع الشبابِ يَقطر ماء ، ويَرِفّ[2] نَماء ، ويُغازل عُيون الكواكب ، فضْلًا عن الكواعب ، إشارةً وإيماء ، بحيث لا الوخْطُ يُلِمُّ بسِياج لِمَّتِه ، أو يَقدَح ذُباله فى ظُلمتِه ، أو يقوم حَوارِيّه فى مِلَّته ، من الأحابِش وأُمَّتِه ، وزمانُه رَوْح ورَاح ، ومَغْدًى فى النعيم ومَرَاح ، وقَصْفُ صُراح ، ورُقّ وجِراح ، وانتِخابٌ واقتِراح ، وصدورٌ ما بها إلا انشِراح ، ومسَرَّاتٌ تَردُفها أفراح ؛ وبين قُدومِك خَليعَ الرَّسَن ، مُمتَّعًا — والحمد لله — باليقظة والوَسَن ، محكَّما فى نُسُك الجُنَيْد[3] أو فَتْك الحسَن[4] ، مُمتَّعًا بظَرْف المَعارف ، مالئا أكُفَّ الصَّارف ، [٢٣ب] ماحيًا / بأنوار البراهين شُبَهَ الزَّخارف — لَمَا اخترت الشَّبابَ وإن شاقَنى زمنُه ، وأعيانى ثمنه ، وأَجْرَتْ سَحَابَ دمعى دِمَنُه . فالحمد لله الذى رَقَّى جُنونَ اغترابى ، وملَّكنى أزِمَّة آرابى ، وغبَّطنى بمأْبى وتُرابى ، ومَألَف أتْرابى ، وقد أغصَّنى بلَذيذ شَرابى ، ووقَّع على سُطوره المعتبَرة إضْرابى . وعجَّلتُ هذه مُغبِّطة

بمُنَاخ المَطِيَّة[1] ، ومنتهَى الطيَّة ، ومُلْتَقَى السُّعود غير البطِيَة ، وتهنِّى الآمالِ الوَثيرة الوَطِية ، فما شِئتَ من نفُوسٍ عاطِشـة إلى رِيِّك ، متَجمِّلة بزِيِّك ، عاقلة خُطا مَهْرِيِّك ؛ ومَوْلَى مَكارمُه نَشـيدة أمثالك ، ومَظانُّ مثالِك ، وسَيُصَدِّق الخبرَ ما هُنالك ، ويَسَع فضلُ مجـدِك فى التخلُّف عن الإصحَار[2] ، لَا ، بل اللِّقاء من وراء البحار ، والسَّلام .

ثم أصبحتُ من الغَد قادمًا على البـلَد ، وذلك ثامنَ ربيع الأول عامَ أربعةٍ وستِّين ، وقد اهتزّ السلطان لقُدومى ، وهَيأ لى المنزِل من قصوره ، بفرشه وما عُونه ، وأركب خاصَّتَه للقائى ، تحفِّيا وبِرًّا ، ومُجازاة بالحُسنى ؛ ثم دخلتُ عليه فقابلنى بما يُناسب ذلِك ، وخلَع علىّ وانصرفت . وخرج الوزيرُ ابن الخطيب فشيَّعنى إلى مكان نزُلى ؛ ثم نظَمنى فى علِيـة أهل مجلسِه ، واختصَّنى بالنَّجِيّ فى خَلوته ، والمُوَاكبة فى رُكوبه ، والمُوَاكلة والمُطَايبـة والفـكاهة فى خَلَوات أُنسه ؛ وأقمتُ على ذلك عِندَه ؛ وسَفَرتُ عنه سـنةَ خمس وستِّين إلى الطاغية مَلِك قَشْتالة يومئذ ؛ بِتطْرُه بن الهُنْشُه بن أُذْفُونَشْ لإتمـام عَقد الصلح ما بينه وبين ملوك العُدْوَة ، بهَدِيَّة فاخرة ، من ثياب الحرير ، والجياد المقرَبات[3] بمراكب الذَّهب الثَّقيلة ، فلقِيت الطاغية باشْبيلية ، وعاينتُ آثار سَلَفى بهـا ،

الملحق رقم 3:

رسالة من ابن خلدون يرد فيها عن ابن الخطيب [1]

سَيِّدى مجدًا وعُلوا ، ووَاحِدى ذخرًا مَرْجُوا ، ومَحَلَّ وَالِدِى بِرًّا وَحُنُوًّا .

ما زالَ الشَّوقُ — مذ نَأَت بِي و بك الدار، واستَحْكَمَ بيننا البِعاد — يُرْعِى سَمْعِى أنباءك ، ويُخَيَّلُ إلىَّ من أيدِى الرِّياح تناولَ رَسائلك ، حَتَّى وَرَدَ كِتابُك العَزيز على استِطلاع ، وعَهْدٍ غَيرِ مُضاع ، ووُدٍّ ذى أجناس وأنواع ؛ فَنَشَر بقَلبى مَيْت السُّلُوّ ، وحشَر أنواع المسَرَّات ، وقَدح لِلقائك زِنَاد الأمل ؛ ومِن الله أسأل الإمتاع بك قَبـلَ الفَوْت على ما يرضيك ، ويُسْنِى أمانِىَّ وأمانِيك . وحَيَّيتُه تَحِيةَ الهَائم ، لِمَوَاقع الغَمائم ، والمُدْلِج[1] ، للصَّباح المتبَلِّج[2] ، وأُمِلَّ على مُقْتَرَح الأولياء ، خصوصا فيك ؛ من اطمئنان الحال ، وحُسْن القَرار ، وذَهاب الهَواجس ، وسكون النَّفْرة ؛ وعُمومًا فى الدَّولة ، من رُسوخ القَدَم ، وهُبوب ريح النَّصر ، والظُّهور على عَدوّ الله ، باستِرجاع الحُصُون التى استَنقَذُوها[3] فى اعتلال الدَّولة ، وتَخْريب المَعاقل التى هى قَواعد النَّصْرانية ؛ غَريبةٌ لا تَثْبُتُ إلاَّ فى الحُلُم ، وآيةٌ من آيات الله . وَإنَّ خَبِيئةَ هذا الفَتْح فى طَىِّ العُصور السَّابقة ، إلى هذه المُدَّة الكريمَة ، لَدَليلٌ على عِناية الله بتلك الذَّات الشريفة ، حينَ ظَهَرَتْ على يَدِها

خوارقُ العادة ، وما تجدَّد آخرَ الأيام من مُعجزات المِلَّة ؛ ولَكمُ فيها — [١٣٤] والحمد لله — بحُسن التدبير ، ويُمْن النَّقيبة[١] ، من حَميد الأثَر ، وخالِد الذِّكر ، طرازٌ[٢] فى حُلَّة الخِلافة النَّصْرية ، وتاجٌ فى مَفْرِق الوزارة . كتبها الله لكم فيما يَرضَاه من عبادِه .

ووقفتُ عليه الأشرافَ من أهل هـذا القُطْر المحروس ؛ وأذَعتُه فى المَلأ سُرورًا بعزِّ الإسلام ، وإظهارًا لنِعْمة الله ، واستطرادًا لذكر الدَّولة المَوْلَوية بما تَستَحقُّه مِن طَيِّب الثَّناء ، والتماس الدُّعاء ، والحديثِ بنِعمتها ، والإشادةِ بفضْلها على الدُّوَل السَّالِفة والخَالِفة وتقدُّمها ، فانشرَحت الصُّدور حِباه[٣] وامتلأَت القُلوب إجْلالا وتعْظيما ، وحسُنَت الآثارُ اعتقادًا ودُعاء .

وكان كتابُ سيِّدى لشَرف تِلك الدَّولة عُنوانًا ، ولِمَا عَساهُ يستعجِم من لُغَتى فى مَنَاقِبها تُرْجُمانا[٤] ؛ زادَه الله من فَضْله ، وأمتعَ المُسْلمين ببقائه . وبَثَثتُه[٥] شكوى الغَريب ، من الشَّوق المُزْعج ، والحَيرة التى تكاد تَذْهب بالنَّفس أسَفا ، للتَّجافى عن مِهاد الأمن ، والتَّقْويض عن دارِ العزِّ ، بين المولى المُنعِم ، والسَّيد الكريم ، والبلَد الطَّيب ، والإخوان البَرَرة ؛ « ولو كنتُ أعْلَمَ الغيبَ لاستَكْثَرْتُ من الخَير »[٦] . وإن تَشوَّفَت السيادة الكريمة إلى الحال ،

الملحق رقم 04 : خريطة توضح رحلات ابن خلدون بين المغرب والاندلس[1]

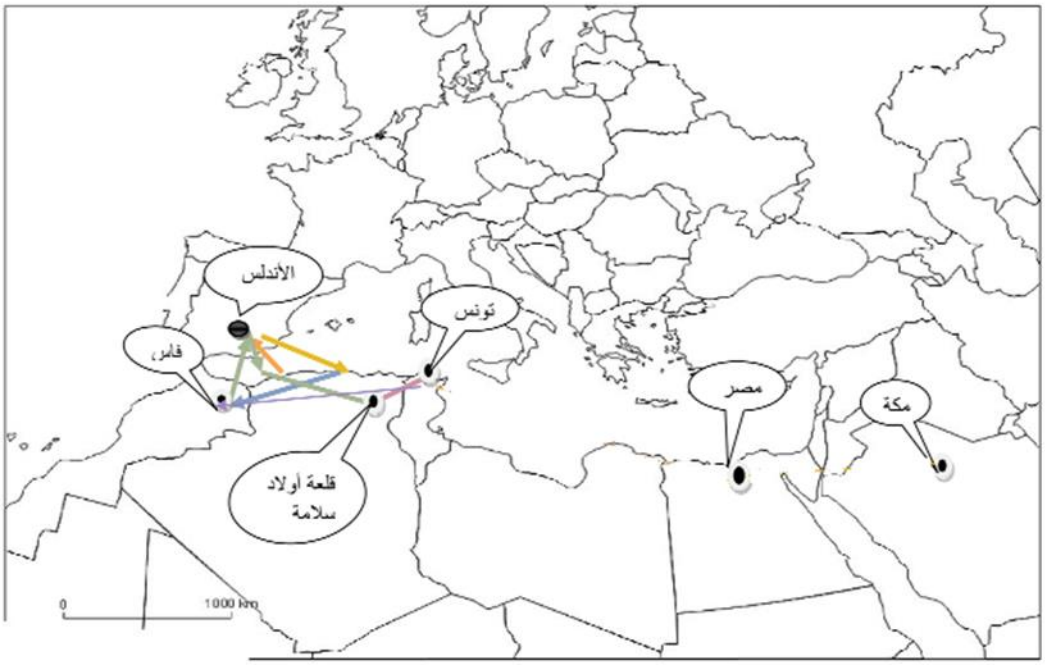

[1] – عائشة ناصري، أسس الدولة ومقوماتها عند ابن خلدون ، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الفلسفة، جامعة وورقلة، 2015/2014 ، ص 70

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

أ- قائمة المصادر:

1. ابن الشماع بوعبد الله مُحَمَّد، البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمود والمعموري، الدار العربية للكتاب، د.ط، د.م، 1984.

2. ابن المنظور أبو فاضل جمال الدين، لسان العرب، تح: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.س، ج3.

3. ابن حجر العسصقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجبل للنشر، د.ط، بيروت، د.س، ج3.

4. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1942.

5. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تح: عبد الله مُحَمَّد الدرويش، دار العرب، د.ط، دمشق، 2004.

6. ابن خلدون عبد الرحمان، شفاء السائل وتهذيب المسائل، تح: مُحَمَّد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر للتوزيع والنشر، ط1، بيروتن 1996.

7. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر، ط3، بيروت، 1980، ج4.

8. أحمد القاضي المكناسي، جذور الإقتباس في ذكر من أعلام فاس، دار منصور للطباعة والوراقة، د.ط، الرباط، 1973.

9. البستاني بطرس، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، د.ط، بيروت، 1984.

10. التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج في تطريز الدباج، تح: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ط2، طرابلس، 1999.

11. جمال الدين أبو المحاسن، المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي، تحقيق مُحَمَّد الأمين، مركز تحقيق التراث، د.ط، القاهرة، 1994، ج7.

12. الحميري، معجم البلدان، دار صادر، ط2، لبنان، 1995.

13. الحنبلي أبي عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: مُحَمَّد علي البجاوين دار الجبل، ط1، بيروت، 1992، م1.

14. الدمشقي ابن عماد شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: الأرناؤوط، دار ابن الكثير، ط1، بيروت، 1986، م1.

15. الدمشقي شهاب الدين ابن عمان، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: مُحَمَّد الأرناؤوط، دار ابن الكثير، ط1، بيروت، 1996.

16. الزركشي أبو مُحَمَّد عبد الله، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: مُحَمَّد ماضدود، المكتبة الغنية، د.ط، تونس، د.س.

17. السخاوي شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جاد جبل، د.ط، بيروت، د.س، ج4.

18. الشافعي شمس الدين الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، ط1.

19. الصنهاجي أبو بكر، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حجيج، الشركة الوطنية للتوزيع، د.ط، الجزائر، 1974.

20. الغزالي أبي حامد مُحَمَّد، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1986، ج2.

21. الفيومي المقري احمد بن عبيد، المصباح المنير، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 1998، ج1.

22. لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخناجي، د.ط، القاهرة، 1975.

23. المقري أحمد بن مُحَمَّد التلمساني، أزهر الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى الصفا وآخرون، طبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1939 م – 1358 هـ.

24. المقري أحمد بن مُحَمَّد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1388 هـ – 1958 م، ج5.

25. المقري تقي الدين احمد بن علي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: مُحَمَّد الجليلي، دار الإسلام، ط1، بيروت، مج3.

26. المقريزي تقي الدين، أحمد بن علي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: مُحَمَّد الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، م2.

27. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ط2، لبنان، 1995.

ب- قائمة المراجع:

28.ابن فارس ،معجم مقياس اللغة تح عبد السلام هارون ،دار الفكر ،ط 1 د م ،1979 ج2.

29.احمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية،ط1،د.ب، 1999، ج 4

30.احمد مختار عمور ،معجم اللغة عربية المعاصرة ،عالم الكتب ط1 القاهرة 2008 ج1

31.اسماعيل سراج الدين ،مع ابن خلدون في رحلته ،تح: خالد عزب ،كتاب اليوم ،القاهرة ،2000.

32.ايف لاكوست،العلامة ابن خلدون، دار الفرابي، ط2، بيروت، 2017.

33.حسن محمود حسن ،ادب الرحلة عند العرب ،دار الاندلس ط2 بيروت 1983

34.حسين فردوس ،ابن خلدون شاعرا ،دار الفكر العربي المعاصر ،د ط 2000

35.حسين مُحَمَّد الخضر ،حياة ابن خلدون ومثل من الفلسفة الاجتماعية ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،د ط ،القاهرة 2012.

36.حنة الفاخوري ،تاريخ الأدب العربي في المغرب ،منشورات المكتبة البوليسية، ط1، بيروت، 1989.

37.الخضيري بين فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ،دار الثقافة د ط القاهرة 1989.

38.الزركلي خير الدين ،الإعلام ،دار الملايين، بيروت، 1987، ج4.

39.ساطع الحصري ،دراسات عن مقدمة ابن خلدون ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،1967

40.سعيد يقطين ،السرد العربي ،مفاهيم وتجليات ،رؤية لنشر والتوزيع ط2 القاهرة 2008

41.شعيب خليفي الرحلة في الادب العربي التجنيسي آليات الخطاب ،الرؤية للنشر والتوزيع ،ط1 القاهرة 2006

42.صلاح الدين بيروني، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون ،كتب عربية، د. ط، القاهرة مصر،د. ت.

43.عبد الحليم عويس، التأصيل الإسلامي عند ابن خلدون، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، ط1، قطر الدوحة، 1996.
44.عبد الله عنان ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ،دار الكتب المصرية ،ط1،القاهرة
45.عبد النور جبور ،المعجم الادبي ،دار العلم للملايين ط1 بيروت 1984
46.علي عبد الواحد وافي ،عبقريات ابن خلدون ،شركة مكتبة عكاظ ،ط 2،السعودية،1984
47.عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملايين ،ط1 ،بيروت ،1983.
48.عيد علوش، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ،دار الكتاب اللبناني ،د ط بيروت 1985
49.غاستون باشلار ،جمليات المكان ،المؤسسة الجامعية للنشر، ط 6، بيروت، 2006
50.فؤاد قنديل ،أداب الرحلة في التراث العربي مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 2،القاهرة 2002.
51.مُحَّد افو خاس ،نادية ملاح ،رحلات المغاربة من المشرق ودورها في تغزير ثقافة التواصل، د. د الامارات العربية المتحدة ،د. ط، د. س .
52.مُحَّد فاروق النبهان الفكر الخلدوني من خلال المقدمة ،مؤسسة الرسالة، ط1،بيروت 1998.
53.مصطفى الشعكة ، الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ط 1، 1986.
54.مصطفى الشعكة ، الأسس الفكرية في فكر ابن خلدون ونظرياته ،الدار المصرية اللبنانية ،بيروت، ط1، 1986.
55.نبيل خالد الخطيب ،لسان الدين ابن الخطيب نثره وشعره وثقافته في ايطار عصره ،دار النهضة العربية،ط1، بيروت، 2013.
56.نيكولا زيادة ،الجغرافية والرحلات عند العرب ،دار الكتاب اللبناني د ط ،بيروت ،1987

ج- الرسائل الجامعية:

57.سارة رباش، النص الخطابي في الرحلة الجزائرية، " مذكرة ماجيستر "، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017 – 2018.
58.عائشة ناصري، اسس الدولة ومقوماتها عند ابن خلدون، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ورقلة، 2014-2015.

59.مذكرة مريم بورقيبة، آداب الرحلة عند مُحَّد الخضير " مذكرة ماستر "، جامعة أدرار، الجزائر، 2012 – 2013.

د– المجلات:

60.عبد المجيد سالم، ابن خلدون، مجلة عالم الفكر الإسلامي، العدد 11، السنة الثامنة، بيروت، دار الفتوى، 1399 هـ – 1979 م.

61.مُحَّد بن معمر، صورة المغرب الأوسط من خلال رحلة ابن خلدون، مجلة الحضارة الاسلامية، العدد 15، جامعة وهران، شعبان، 1432 هـ /2004م

62.مُحَّد عبد الله عنان، بين ابن خلدون وابن الخطيب، مجلة العربي، العدد 85، الكويت، وزارة الأعلام، 1385هـ – 1965 م.

د– المواقع الإلكترونية

إقتباسات نيكولا ماكيافيلي- أبجد 12 – 04- 2018 / 00: 20.
https//www.dbjjad.com

الفهرس :

شكر وعرفان .....

إهداء .....

إهداء .....

إهداء .....

قائمة المختصرات .....

مقدمة: ..... أ

الفصل الأول: التعريف بابن خلدون (حياته، رحلته)

تمهيد: **7**

المبحث الأول: أصل بيت ابن خلدون. **8**

أولا: نسبه: **8**

ثانيا : سلفه في الأندلس : **10**

ثالثا : جواز سلفه إلى إفريقيا : **11**

المبحث الثاني : نشأته وتكوينه العلمي: **12**

أولا : مولده و نشأته: **12**

ثانيا: شيوخه: **12**

ثالثا: الآثار العلمية لابن خلدون: **17**

رابعا: بعض الآراء حول ابن خلدون: **18**

المبحث الثالث: التعريف بالرحلة وأهميتها في البلاد العربية : 21

أولا: تعريف الرحلة عامة:..... 21

ثانيا: التعريف برحلة ابن خلدون..... 24

ثالثا :أهمية الرحلة في البلاد العربية :..... 27

الفصل الثاني: ابن خلدون و الأوضاع السياسية في بلاد المغرب

تمهيد: 32

المبحث الأول : الحياة السياسية و رحلاته (في المغرب) 32

أولا : كتابة العلامة بتونس 34

ثانيا : رحلته إلى بسكرة 34

ثالثا : رحلته إلى بجاية (الأولى) 35

رابعا : ابن خلدون في قصور الدولة المرينية : 36

المبحث الثاني:النكبة في بلاط بن مرين 39

أولا:حدوث النكبة من السلطان أبي عنان ودخوله السجن :..... 39

ثانيا : دخوله السجن 40

ثالثا : ابن خلدون في قصر فاس و الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر و الإنشاء..... 41

المبحث الثالث: نشاطه السياسي في المغرب بعد رحلته الأولى في الأندلس. 45

أولا: في بجاية وتوليه الحجابة: 45

ثانيا: عودته إلى المغرب الأقصى: 47

ثالثا: عودته إلى تلمسان: **48**

رابعا: مرحلة التفرغ للتأليف: **48**

نتائج الفصل الثاني: **54**

الفصل الثالث: رحلة ابن خلدون إلى الأندلس وعلاقته بلسان الدين ابن الخطيب

تمهيد: **56**

المبحث الأول: ابن خلدون في الأندلس: **56**

أولا: ظروف جوازه الأندلس: **56**

ثانيا: رحلته إلى الأندلس ونشاطه فيها(764 هـ – 766 هـ): **58**

خاتمة: **79**

الملاحــق **82**

قائمة المصادر والمراجع ..... Erreur ! Signet non défini.

الفهرس : **97**

ملخص الدراسة : **100**

ملخص الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب ولأندلس من خلال رحلة ابن خلدون ومشاهداته التي عكست صورة واضحة عن أحوال الشعوب في العدوتين المغربية والأندلسية وتفاصيل العلاقات بين الدول من خلال تنقلاته ومشاركته السياسية بتوليه عدة وظائف. وقد قدم لنا ابن خلدون علاقته بصديقه لسان الدين ابن الخطيب واعتزاله السياسة وتفرغه للكتابة والعلم وبذلك تعد رحلته جزءا مهما من تاريخ المغرب والأندلس .

الكلمات المفتاحية : الرحلة ، ابن خلدون ،المغرب والأندلس ،السياسية .

Study summary

This research aims to reveal the aspects of social and political life in Morocco and Andalusia through Ibn Khaldun's journey and his observations, which reflected a clear picture of the conditions of peoples in the Moroccan and Andalusian enemies and the details of relations between states through his movements and political participation by assuming several positions. Ibn Khaldun presented us with his relationship with his friend Lisan al-Din Ibn al-Khatib, his retirement from politics, and his devotion to writing and science. Thus, his journey is an important part of the history of Morocco and Andalusia.

Keywords: The Journey, Ibn Khaldun, Morocco and Andalusia, politics.